الصورة الحسّية في شعر علي بن جبلة (العَكَوَّك)

د.عيد حمد الخريشة*

الملخص:

تمثل الصورة الفنية بمفهومها العام علم البيان، فهي أداته ومرآته العاكسة لأساليبه الثلاثة (التشبيه، والاستعارة، والكناية) فضلا عما أضافه الأدباء من صور قد تنشأ من أصل واقعي بعيد عن الخيال مما أنتج تفرعا في الصور الفنية، فتكونت الصورة البلاغية، والصورة الذهنية،والصورة الحسية...؛ لذا تعد الصورة الحسّية من الصور الجزئية الفردية في النص، وتحدد من كل تعبير يثير إحساس المتلقي، فنجدها بذكر كل ما يُرى، أو يُسمع، أو يُشم، أو يُلمس، أو يُتذوق.

ويعمد الشاعر إلى توظيف الصورة في شعره ليستغل الجمال الذي تضفيه على عمله، وانجذاب القارئ لهذا الجمال الذي يثير مشاعره وأحاسيسه،ويحرك خياله، ويترك أثراً بالغاً في نفسه، ويستغل ذلك كله لنقل أفكاره ورؤيته،وما يريد إيصاله إلى متلقيه، معتمداً في ذلك على ثقافته، وملكة الخيال التي يتمتع بها، وعمق تجاربه في الحياة.

ويهدف هذا البحث إلى بيان الحواسّ المختلفة في تشكيل صور الشاعر، والدور الذي تقوم به في توضيح معانيه وأفكاره وعواطفه، وكيف أدت إلى إثارة الانفعال والهزة في المتلقي؟ وذلك لأنها تحقق مع العناصر الأخرى جمال التجربة الشعرية،معتمدا في هذا البحث المنهج الإحصائي؛ إذ سيبين الباحث النسب المئوية لكل حاسة،وتحليل هذه النسب معتمدا على نصوص الشاعر،وبيان دورها في ما سبق ذكره. وفي هذا البحث ستتم دراسة الصورة الحسّية عند الشاعر العباسي علي بن جبلة (العَكَوَّك)، ليخلص البحث بعد ذلك إلى تحديد ملامح الصورة الفنية الحسّية عند الشاعر، وبيان ما وظفه من أساليبها، وما أضافه إليها بأسلوبه وشاعريته.

* جامعة البلقاء التطبيقية-كلية الزرقاء الجامعية-الأردن

* مركز تطوير التعليم الجامعي بجامعة أسيوط
موقع الاليكتروني: http:// Website: www.aun.edu.eg/dlearn/index.htm
بريد إلكتروني: E-mail: eec@aun.edu.eg
* جامعة أسيوط
موقع الاليكتروني: Website: www.aun.edu.eg
بريد إلكتروني: E-mail: Sup@aun.edu.eg

Perceptual Image in the Poetry of Ali Bin Jabala (Al-A'kkouk)

Abstract:

The artistic image in its general concept represents the rhetoric, as it is its tool and reflective mirror of its three styles (simile, metaphor and metonymy). In addition, the literati added images that emerge from factual origin, far from imagination, which produced branching in the artistic image, creating the rhetoric image, the mental image and the perceptual image. Accordingly, the perceptual image is a partial individual image in the test; it is determined from every expression causes the arousal of the recipient's sense. Therefore, we find it when mentioning all whatever seen, heard, smelled, touched or tasted.

The poet intentionally employs the image in his poetry to make use of the beauty it adds to his work, the attraction of the reader to this beauty that stirs his passion and feelings. It further moves the imagination and leaves a strong effect in the self. The poet makes good use of all these to transmit his thoughts, vision and what he wants to communicate to the recipient, depending, in all this, on his culture, the imaginary talent he enjoys, and the depths of the experiences he encountered throughout his life.

This research aims to underline the different senses in formulating the poet's image, and the role this image plays in explicating his meanings, thoughts and emotions; and how it led to stir the emotion and tremor in the recipient; because it realizes, with the other elements, the beauty of the poetic experience. The researcher adopted the descriptive method, as it illustrates the percentages of each sense. Then, the researcher will analyze these percentages depending on the texts of the poet, explaining their role in the above mentioned issues. In this

research, the perceptual image will be studied with the Abbasid Poet Ali Bin Jabala (Al-A'kkouk), so that the research will conclude the features of the artistic image with the poet, and explain the styles he employed, and what he added to them through his style and poetic talents.

مشكلة البحث وأهدافه:

١. لم ينل هذا الشاعر اهتمام النقاد،ولم يدرس في دراسات مستقلة،وإنما مرّ ذكره على نحو عام في دراسات الأدب العباسي العامة؛ ولهذا فضل الباحث دراسة هذا الشاعر، والتوقف عند الصورة الحسّية في شعره، وبخاصة أنه من الشعراء الذين أصيبوا بعاهة العمى، وهؤلاء الشعراء لديهم حساسية خاصة حواسهم حتى يعوضوا حاسة البصر.

٢. لم يدرس موضوع (الصورة الحسّية في شعر علي بن جبلة (العكوّك) سابقًا، فقام الباحث بدراسة هذا الموضوع، وبخاصة أن شعره يمتاز بالجمال الفني، وقوة التعبير.

٣. يهدف هذا البحث إلى بيان الحواس المختلفة (البصرية، والسّمعية، والذوقية، واللمسية، والشمية) وأثرها في تشكيل صور الشاعر.

٤. يهدف هذا البحث إلى بيان الوظيفة التي قامت بها الصورة الحسّية على المستوى الاجتماعي أو على المستوى الشخصي.

٥. يهدف البحث إلى بيان الملامح الفنية للصورة الحسّية في شعره.

المقدمة:

اسمه علي بن جبلة، وكنيته أبو الحسن، ولقبه العَكَوَّك، ومعناه القصير السمين، وبه اشتهر. (*انظر المصادر والمرجع التي ذكرت حياته) ويقال: إن الأصمعي هو الذي لقبه به حين رأى الرشيد متقبلا له، معجبا به، وهو ينشده بعض مدائحه الجيدة. (البكري، ١٩٣٦م) وهو عربي بالولاء، وربما كان أصله سنديا أو حبشيا؛ لأن القدماء يصفونه بأنه كان من الموالي، وأنه كان أسود أبرص. (ابن خلكان، ١٩٤٨م) ولد علي بن جبلة سنة ١٦٠ للهجرة في حي الحربية في بغداد.وكان ضريرا، وقد ورد في بعض الروايات أنه ولد أكمه لا يبصر، وفي روايات أخرى أنه فقد بصره في صباه. (ضيف،١٩٧٢م)، ويرجح حسين عطوان محقق الديوان أنه ولد ضريرا ، فيقول: "فالراجح عندي أنه ولد ضريرا، إذ لو كان ولد مبصرا، ثم ابتلى بفقد عينيه واحدة تلو الأخرى لكان يمكن أن يرثيهما ويتحسر عليهما، غير أن ما بقي من شعره لا ينبئ بذلك." (محقق الديوان، ١٩٨٢)، ولكن هذه الظروف لم تؤثر عليه من الناحية النفسية، فسلوكه كان طبيعيا، فلم تذكر كتب الأدب أيّ انطواءٍ في شخصيته أو تشاؤم في نظرته للحياة أو المجتمع، بل شارك في مجالات الحياة كلها، وتنطبق عليه سمات الشخصية المنبسطة؛ وتتكون سماته من حيث السلوك الشخصي من :**١**-الميول الاجتماعية، **٢**-الميول الاندفاعية، **٣**-الميل إلى الفرح، **٤**- الحيوية، **٥**-النشاط، **٦**-الاستثارة، **٧**-سرعة البديهة، **٨**-التفاؤل.(عبد الخالق، ١٩٧٩م)، أما من ناحية الأسلوب الشعري؛ فربما أن هذه العوامل قد أثرت في موهبته الشعرية وخاصة عاهة العمى التي أصيب بها؛ ولكن هذه العاهة لم تؤثر في أسلوبه الشعري ولم يركز على حاسّة معينة،وإنما وردت في شعره الحواسّ جميعها على نحو طبيعي.

اهتم والده بتعليمه "فألحقه بمدرسة من المدارس تعلم فيها ما يتعلمه الصبيان ممن هم في مثل سنه من أطراف العلم.ولم يكد يشب حتى أخذ إخوته يختلفون به بتوجيه من والدهم إلى مجالس العلم والأدب.وكان ذكياً فطناً،وما هي إلا أن يُمْضِيَ عاماً وهو يتردد على هذه المجالس ويستمع إلى ما يحاضره العلماء فيها من دروس في الشعر واللغة والنحو، وما يدور بينهم بها من محاورات ومناظرات

في المذاهب الكلامية والمسائل العقلية، فإذا هو يفقه أسرار العربية، ويحفظ غير قليل من الشعر لغير شاعر من الشعراء الجاهليين والإسلاميين والعباسيين من أمثال امرئ القيس، والنابغة، وبشار، وأبي نواس، ومسلم، وأبي العتاهية."(محقق الديوان،١٩٨٢م) فصقل الشاعر موهبته بثقافة أدبية لغوية وبكل معارف عصره؛ مما كان له أثر كبير في توسيع "مداركه وخياله ونمّى طاقاته العقلية،فإذا هو يتمكن من استنباط أدق المعاني ورسم أطرف الصور" (محقق الديوان،١٩٨٢م) فنضجت موهبته الشعرية واكتملت، "وسرعان ما استبانت فيه موهبته الشعرية، فأخذ ينظم الشعر متكسباً به، ولم تطمع نفسه إلى مديح الخلفاء، وإن كان يقال إنه مدح المأمون، ولكن على كل حال ليس بين أيدينا شيء من هذا المديح."(ضيف،١٩٧٢) وقد مدح الوزراء والولاة والقادة، ومن أهمهم أبو دلف العجلي، وحميد الطوسي، اللذان كانا يغدقان عليه أموالا كثيرة. ويجمع القدماء على أنه توفي سنة ٢١٣ للهجرة، وفي سنة وفاته خلاف، فبعضهم يقول: إنه مدح عبد الله بن طاهر ومعروف أن هذا الوالي، ولّيّ خراسان سنة ٢١٤ للهجرة، فيقول شوقي ضيف:"وعبد الله إنما أقام في خراسان سنة ٢١٤ للهجرة. وفي ذلك دليل أن وفاة علي بن جبلة تأخرت على الأقل إلى هذه السنة."(ضيف،١٩٧٢م)

والحواس مفردها الحاسّة،وهي القوة التي بها تدرك الأعراض الحسّية. (ابن فارس،١٩٧٩م) واكتساب معنى الحاسّة منقول من قولهم أحسست، أي علمت بالشيء، قال تعالى:"هل تحسّ منهم من أحد" (مريم،آية ٩٨) وإدراك الأعراض الظاهرية، والإحاطة بالمعرفة الحسيّة تتم عبر أعضاء جسمية، أجملها الله في معرض حديثه عن خلق الإنسان وجعله في أحسن تقويم، "ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون" (السجدة،آية٩) وكانت الغاية من السمع والبصر وغيرها من الأعضاء إدراك الأعراض الخارجية،فتكتمل معرفته بما يدور حوله،مصداقا لقوله تعالى "ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين" (البلد،آية٨-١٠)وتقوم الحواس بدور رئيس في تشكيل الصورة الفنية.ومن المعروف أن الشعر ينبت ويترعرع في أحضان الأشكال والألوان منظورة أم مستحضرة في الذهن.والحواس تعمل على إبراز الصورة الفنية وتوضيحها للمتلقي، وتعمل على تنشيط ذهن القارئ"ومن هنا؛ فإن الحواس، بل الوعي بأسره يضع أمام الذات صورة واضحة لكثير من الطرائق المرسومة مقدماً،واثقاً من أن هذه الصور ستكون ذات فائدة قصوى بالنسبة إلى الإنسان؛ لأنها هي التي ستحدد له طريق الفعل دون أدنى عناء من جانبه."(إبراهيم،١٩٧٩م) ويتميز الفنان عن غيره بحساسيته المرهفة لهذه الحواس، أو للوسيط المادي الذي يتعامل معه "فلديه وعي زائد بطابع الأصوات، أو الألوان، أو الألفاظ. وبالنظر إلى أن المادة ليست جامدة، بل هي نابضة حية،فإنها تعمل على توجيه مجرى النشاط الإبداعي."(ستولنيتو،١٩٨١ م) والحواس كلها تكمل بعضها بعضًا، وتؤدي إلى شعورنا بلذة العمل الفني، فالأصوات، والألوان، والملمس، والروائح، والطعوم هي وحدها التي تؤدي إلى إحساسنا بالجمال، فيجب أن لا يعتمد الفنان على حاستي السمع والبصر فحسب، وإنما عليه أن يستعمل الحواس كلها.والمادة الحسية ضرورية لأي عمل فني، فهي التي تجسد خيال الشاعر وصوره وأفكاره، ونجد لذة العمل الأدبي عندما يكون مجسداً بأصوات وألوان وألفاظ ذات إيقاع.وترتبط الحواس بالعملية الجمالية ارتباطاً وثيقاً، فنحن لا نحكم على الشيء بأنه جميل إلا إذا أدركنا بحواسنا سواء أكانت بصرية، أم ذوقية، أم شمّية، أم لمسية.وكذلك اللذة التي نشعر بها بعد الإحساس الجمالي،ما هي إلا ترجيع للإحساس كلّه.

وركز النقاد الغربيون على الحس في الصورة ومنهم (ارمسترنج)، الذي يفرق بين الصورة العقلية والصورة الحسية، وإن دافع – أحيانا-عن الصورة العقلية "ويتمثل ارمسترنج الفرق بين المدرك الحسي والصورة العقلية، على نحو ما تمثله المادي الإنجليزي (هوبز) من قبل،وذلك أن الصورة العقلية باهتة،وخابية،أما المدرك الحسي؛فيتميز بالوضوح والانضباط والثبات."(جوده،١٩٨٤م).

وإذا دققنا النظر في العملية الشعرية، إننا نجد أنها تقوم على أساسين ،هما:"الانفعالية"، و"الحسية".والانفعالية مبدأ يشير إلى غاية الشعر وقدرته على إثارة المتلقي،كما تشير الحسية إلى طبيعة المدركات التي تشكل مادة الشعر ومعانيه.(عصفور،١٩٧٧)

ويعدّ الحسّ أساس المعرفة، وعن طر يق الحواس نفهم الأشياء، وتسهم الحواس في تشكيل تفكيرنا وإبداعنا؛ولهذا تتشكل الصورة الفنية عند أيّ شاعر من العناصر الحسية.

وصفوة القول، أنّ الحواس تعدّ من الأمور المهمة في بناء الصورة الفنية لتجلية المعنى، ولإضفاء الإحساس الجمالي؛ وتساعد المتلقي في الفهم والانفعال؛ ولذلك سيركز البحث على الحواس جميعها.وقد برز هذا الشاعر بجمال شعره وروعته، وميله إلى التركيز على إبراز معانيه بقالب حسي. واعتمد البحث على ديوان الشاعر (تحقيق حسين عطوان)، إذ بلغ مجموع الأبيات التي خضعت للدراسة (٤٨٩)بيتا،مبينا في البداية النسب المئوية للحواس المختلفة التي وردت في شعره، وقد بلغ مجموع صوره الحسية (٨٨٥)، وبعد ذلك سيقوم الباحث بتحليل كل حاسة على حدة. وجاء ترتيب الصور الحسية على النحو الآتي:

الصورة الحسية	عدد الصور	النسبة المئوية%
البصرية	٧٧٨	%٨٧.٩٠
السمعية	٨٠	%٩.٠٣٩
الذوقية	٧	%٠.٧٩
اللمسية	١٥	%١.٥٦
الشمية	٥	%٠.٣٣
المجموع	٨٨٥	%١٠٠

الصورة الحسية البصرية:

تتصدر حاسة البصر حواس الإنسان من حيث الأهمية؛ إذ تربطه بالواقع المحيط به، فالعين ترى الأشياء بأشكالها وألوانها وجمالها وقبحها وأبعادها كافة، ثم تستقبل الذاكرة الصور المرسلة وتختزنها، ويستفيد منها خيال الفنان في إعادة إنتاجها بصورة أجمل من الواقع؛ لأن الفن تجربة جمالية في المقام الأول، ولا يعتمد على المحاكاة المباشرة.

وقد ذكر ابن حزم أهمية حاسة البصر عند الإنسان "اعلم أن العين تنوب عن الرسل،ويدرك بها المراد،والحواس الأربع أبواب إلى القلب ومنافذ نحو النفس، والعين أبلغها وأصحها دلالة وأوعرها عملا. رائد النفس الصادق، ودليلها الهادي، ومرآتها المجلوة التي بها تقف على الحقائق، وتميز الصفات،وتفهم المحسوسات. وقد قيل: ليس المخبر كالمعاين"(الأندلسي، ١٩٨٧م).

ولعل ما استوقف الباحث عند البحث في الصورة الحسية البصرية عند الشاعر، أنه من الشعراء الذين فقدوا نعمة البصر. وشكلت الصور البصرية جلّ صوره الحسية.ومن اللافت للانتباه أن صوره البصرية قلّما يصل إليها شاعر يتمتع بحواسه كاملة؛ لما فيها من خيال خلاق، ودقة في التقاط الصور، وتقريبها إلى ذهن المتلقي.فالشاعر لم يرَ النور طيلة حياته، ومع هذا لم يبخل علينا بالصور التي تقدمه وكأنه مكتمل الحواس، ولم يعرف العمى يوما، بل كان المتنبي أكبر شاعر في العربية يَغير على معاني وصور الشاعر، وتفوق (العَكَوَّك)على المتنبي أحيانا، وسوف يبين الباحث ذلك في تضاعيف البحث. وربما يعود سبب هذا التفوق؛ إلى أن الشاعر قد تجاوز عاهته المزمنة التي يعاني منها، والتي حاول إخفاءها والتغلب عليها، وذلك بتقديم الصور البصرية المشرقة، وإيهام المتلقين بأنهم ليسوا

أكثر منه أبصاراً، وفي ذلك دلالة نفسية عميقة على محاولة التغلب على عقدته النفسية. وعلاوة على ذلك، هناك شعراء فقدوا بصرهم لكنهم أبدعوا في الصورة الحسية البصرية ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الشاعر بشار بن برد،والشاعر أبو العلاء المعري.

واعتمد الشاعر في صوره البصرية المرئية على ثلاثة عناصر أسعفته في التفوق في مجال التصوير المرئي،وهي:

١. حاسّة السمع،فكان الشاعر يتمتع بحاسّة سمع مرهفة وفي غاية الحساسية،فاكتسب بها كل ما يدور حوله.وتعدّ حاسّة السمع من الحواس المهمة، حتى أنها قدّمت في القران الكريم على حاسة البصر، كما في قوله تعالى: "ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا" (الإسراء،آية٣٦) وقوله تعالى: "صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون"(البقرة،آية١٨)وقوله تعالى:"والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون" (النحل،آية،٧٨) ويرى إبراهيم أنيس أن حاسّة السمع أهم من حاسّة البصر،فهي تستغل ليلا ونهارًا في الظلام والنور، في حين أن المرئيات لا يمكن إدراكها ألاّ في النور. فالسمع هو عماد الكفيف في صلاته الاجتماعية (أنيس،١٩٧٥م).

٢. ثقافة الشاعر،تثقف الشاعر بمعارف عصره جميعها.

٣. امتاز الشاعر بخيال خلّاق، وقد استطاع من خلاله أن يأتي لنا بهذه الصور المرئية البصرية. ولا شك في أن صوره البصرية قلّما يصل إليها شاعر يتمتع بكامل حواسه، لما فيها من خيال خلّاق ودقة في التقاط الصور، وتقريبها إلى ذهن المتلقي.ومن اللافت للانتباه، انتشار الصور البصرية لدى هذا الشاعر الذي لم يرَ النور طيلة حياته، ومع هذا لم يبخل علينا بالصور البصرية. فخيال الشاعر اكتنز صورا كثيرة من خلال حواسّه، وبعد ذلك عبّر عنها بالطريقة الملائمة، وهذا ما عبّر عنه أ.أ ريتشاردز في حديثه عن دلالات الصورة، ومن هذه الدلالات "دلالة مستخدمة لدى علماء النفس وعلماء الجمال والتي يقولون فيها، إن الصورة عملية استحضار عقلي لما سبق إدراكه بالحواس،وليس بالضرورة أن يكون ذلك المدرك مرئيًا، فتدخل مدركات الحس الأخرى من المسموعات والمشمومات والمذوقات والملموسات، وهذا الاستحضار للمدركات الحسّية (الصورة) هو مجال اختلاف البشر تبعًا لاختلافهم في أنواع التجارب مع الأشياء الحسيّة التي مر بها كل منهم؛ والتي يتألف منها رصيده النفسي الذي يستثار عند حضور الرمز الدال ،وهو الكلمة أو التعبير" (ريتشاردز،١٩٦٣).

وصفوة القول: لقد اعتمد الشاعر على حاسّة السمع في صوره البصرية؛ ولهذا يقول محمد كشّاش: "والأعمى يعتمد على قانون التعويض في حياته، فيستبدل حاسّة بحاسّة، والمطالع المدقق، والدارس المحقق، يجد الأعمى يرى بأذنه عوضًا عن عينيه. وشواهد ما نقوله أكثر من أن تحصى. (كشّاش،٢٠٠١م) ومنها قول بشار بن برد: (الديوان ،١٩٦٦م).

يا قوْمِ أُذني لبعْضِ الحيِّ عاشقَةٌ والأذن تعشَقُ قبلَ العينِ أحيانًا

قالوا بمن لا ترى تهذي فقلتُ لهمْ الأذن كالعينِ توفِي القلبَ ما كانا

واستخدم الشاعر فعلا من الأفعال التي تدل على حاسة البصر، وتكرر في أكثر من موضع في ديوانه، وهو فعل (رأى)، كقوله: "وكأني أرى الندامى، ولم أر كالشيب، وألم ترَ للأيام، وكنت أراه، وألم ترَ أن الشمس، وأرى المنايا على غيري، وترى فوقها

نمشاً، وأرى بِرّكَ، لا ترى فيهم،وأرى الليالي، تراهم خشية، ولم ترني".(الديوان، ص٣٢،٣٠ ،٨١ ،٨١ ،٨٣، ٨٤،٩١،٩٣، ٩٤، ١٠٤، ١١٠،١٠٨).

وقسمت الصور الحسية البصرية عند الشاعر على النحو الآتي:

١. الصور البصرية الساكنة.
٢. الصور البصرية المتحركة.
٣. الصور البصرية الملونة.
٤. الصور البصرية الضوئية.

الصورة البصرية الساكنة:

ومن الصور البصرية الساكنة التي ظهرت عند الشاعر صورة الأرض، وارتبطت ارتباطا وثيقا بصورة الممدوح، ولم تظهر إلا في موضوع واحد، وهو المدح، فممدوحه مطعم الناس، إذ يقول: (الديوان،ص٣٠)

صَاغهُ اللهُ مطعمَ الناسِ في الأر ضِ وصاغَ السّحابَ للإسقاءِ

وتظهر الأرض ما تضمره من خوف في أثناء المعركة التي يخوضها الممدوح، يقول: (الديوان، ٣٥)

تكادُ تَبْدى الأرض ما تضمِرُهُ إذا تداعتْ خيلهُ هلاّ وهبْ

ويحل الأمن بالأرض وساكنيها إذا سالمهم الممدوح،أما إذا حاربهم؛فيحل بهم الهلاك والموت،إذ يقول: (الديوان، ص٣٨)

إذا سالم أرضاً غنيت آمنةَ السَّرْبِ

وإن حاربها حلَّت بها راغيةُ السقبِ

وتضيق الأرض لعظم جيش الممدوح وموكبه، يقول: (الديوان، ص٤١)

وضاقتْ فجاجُ الأرضِ عن كلِّ موكب أحاطَ به مستعلياً للمواكبِ

ويصور جيش الأعداء، فتكاد الأرض تضيق به بعد هزيمته من الممدوح، إذ يقول: (الديوان، ٦٢).

وخميسٍ تقبضُ الأر ضُ له ظلَّ يسيرُ

وربط بين عدل وحزم الممدوح وإقامة ميل الأرض،يقول:(الديوان،ص٤٢)

وعدَّلتَ مَيلَ الأرضِ حتّى تعدَّلت فلم ينأ منها جانبٌ فوقَ جانبِ

بلغتَ بأدنى الحزمِ أبعدَ قطرها كأنكَ منها شاهدٌ كُلَّ غائبِ

ويعد الغيث الأرض بأنها سترغد بعد سقوطه، يقول: (الديوان، ص٤٨)

صَدوق المخيلةِ داني الظلالِ قدْ وعدَ الأرضَ أنْ تَرْغَدا

كأن تواليهُ بالعراءِ أهوى إلى الجلمدِ الجلمدا

ويصور الأرض المرتفعة والمنخفضة والآكام والوهاد،ووصلت عزة الممدوح ورفعته وشرفه إلى الأماكن كلّها،إذ يقول: (الديوان، ص٥٣،٥٢)

إلى الذي سَنَّ بناءَ المجـدِ

بكلِّ غورٍ وبكلِّ نجـدِ

أفنتْ مساعيهِ حسابَ العدِّ

له بكلِّ أكمةٍ ووهْـدِ

وممدوح الشاعر قمر الأرض،يقول:(الديوان،ص٦٠)

لحميدٍ وحميـدٌ قمرُ الأرضِ المنيرُ

وقسم أيام الممدوح في الأرض إلى يومين:إما بشير أو نذير،يقول:(الديوان،ص٦٠)

وكلا يوميه في الأرضِ بشيرٌ ونذيرُ

وممدوحه حارس الأرض وخفيرها ومانعها أي حاميها، ويرعى شؤون سكانها،وتكررت هذه الصورة في أكثر من موضع،يقول: (الديوان،ص٦١)

ضمنَ الأرضَ حُميدٌ فهو للأرضِ خفيرُ

ويقول:(الديوان،ص٦٨)

لست أدري ما أقول له غير أن الأرضَ في خفرهْ

ويقول:(الديوان،ص٨١)

وكيف التقى مثوى من الأرضِ ضيقٌ على جبل كانت به الأرضُ تمنع

ويقول:(الديوان،ص١٠٧)

يا مانعَ الأرضِ بالعوالي والنعمِ الجمَّةِ العظامِ

ويقول:(الديوان،ص٨٧)

لـه كنفٌ ضامنٌ على الأرضِ من يكنفُ

ويزيل ممدوحه المفاسد والشرور المنتشرة في الأرض، وهو منقذ العرب كافة من العسر؛ ويتفاخرون بكرمه، يقول: (الديوان، ص٦٨)

يا دواءَ الأرضِ إن فسدتْ ومديل اليسر من عسرهْ

كلُّ من في الأرضِ من عربٍ بينَ باديه إلى محتضرهْ

وصور الاستقرار الذي ساد في عهد الممدوح؛بثبات ركن الأرض،يقول:(الديوان،٦١)

بكَ ركنُ الأرضِ يرسو ورحى الملكِ يدورُ

ويجعل حشا الأرض ترعد وتضطرب ؛حينما يستعد ممدوحه للقتال،يقول:(الديوان،٨٠)

إذا ما تردَّى لأُمةَ الحربِ أرُعدتْ حشا الأرضِ واستدمى الرماحُ الشوارعُ

وظهرت صورة الأرض المقفرة في أثناء رحلته لحميد الطوسي،يقول:(الديوان،ص٣٨)

إلى أكرمِ قحطانَ وصلنا السهبَ بالسهبِ

وتبدو صورة الأرض الخالية الخاوية في موضوع الرثاء،وهذه الصورة ترتبط بحزنه على ممدوحه حميد الطوسي، يقول:(الديوان،ص٨٢)

فأقنعه من ملكهِ ورِباعِهِ ونائله قفرٌ من الأرضِ بلقعُ

والصورة البصرية الساكنة الثانية التي ظهرت في شعره، هي صورة الجبل أو الجبال، ووردت هذه الصورة في خمسة مواضع، وارتبطت صورة الجبل أو الجبال في مواضعها كلها بالممدوح. ومن المعروف أن الجبل رمز للثبات والقوة والمنعة والضخامة، واستخدم الشاعر هذه الرموز لبيان الصفات التي يتحلى بها ممدوحه؛ فالحسّ وسيلة إدراك الصورة حتى لو كانت عناصرها ذهنية، يتخيلها الفكر على هيئة ما، فتتشكل على صورة معينة في ذهن المتلقي ويتوسل إلى إدراكها بحاسّة من حواسه، "وليس على الأديب أن يتحرّى حقائق الوجود الموضوعية ويعكسها، ولكن عليه أن يعبّر تعبيرًا فنيًا وثيقا عن ميوله وأوهامه وآماله الخاصة، دون أن يبالي بمدى تعارضها مع ميوله وآماله." (الشوباشي،١٩٧٠)

فظهرت صورت الجبل في رثاء ممدوحه حميد الطوسي،ولم يقصد صورة الجبل، وإنما قصد معناه الرمزي؛ وذلك لأن ممدوحه كان مهيبا منيعا،وكيف تمكن القبر أن يحتويه، يقول:(الديوان،ص٨١)

وكيف التقى مثوى من الأرضِ ضيقٌ على جبل كانت به الأرضُ تمنع

ويكرر هذه الصورة في القصيدة نفسها،فيقول:(الديوان،ص٨٢)

هوى جبل الدنيا المنيع وغيثها المريع وحاميها الكميُّ المشيع

وممدوحه ذو عزيمة قوية لا تتحملها الجبال الصم؛فتكاد أن تتشقق أمامها،يقول:(الديوان،ص٧٨)

موفق الرأي لا زالت عزائمه تكاد منها الجبال الصمُّ تنصدعُ

وتعيش قبيلة عدنان آمنة في كنف أبي دلف العجلي الذي يشبه الجبل الثابتة أركانه،يقول: (الديوان،ص٦٧)

جبلٌ عزتْ مناكبهُ أمنت عدنان في ثغرهْ

والأعمال الكثيرة لممدوحه كأنها الجبل،يقول:(الديوان،ص٦٦)

إنَّ من دون الغنى جبلاً ستكوس العيس في وعرهْ

وظهرت صورة الماء ولكنها قليلة؛ إذ ظهرت في أربع صور، صورة الماء الذي تحركه الرياح، وسيذكرها الباحث في الصورة البصرية الحركية. وصورة عين الماء(الورد)، يقول: (الديوان،٥٢)

والدلوُ لا يجبي حياضَ الوردِ

ووردت صورة عين الماء في أثناء رحلته للممدوح،يقول:(الديوان،ص٦٠)

وَقَطاً نازعتهُ المو ردَ واللّيلُ كفورُ

وقد خلق الله سبحانه وتعالى الناس من ماء وطين،يقول:(الديوان،ص١١١)

صوَّركَ الله من مجدٍ ومن كرمٍ وصوَّرَ الناسَ من ماءٍ ومن طينِ

أما صورة البحر، فلم تظهر إلا في موضعين، وارتبطت بالكرم والعطاء، فقال في كرم حميد الطوسي: (الديوان،ص٦٠)

وَكَفاهُ أنَّه يَمٌّ تُساميهِ البحورُ

ويتكرر المعنى نفسه في القصيدة عينها،فيقول:(الديوان،ص٦٣)

وندى كفَّيكَ بحرٌ منه تنشقُّ البحورُ

ولم تظهر في شعره صورة النهر إلا مرة واحدة، وهي صورة نهر دجلة، الذي تسقي الناس، وممدوحه الذي يطعم الناس، فيقول: (الديوان،ص٧٤)

دجلةُ تَسقي وأبو غانمٍ يطعم من تَسقي من الناسِ

ومن الكواكب؛ تكررت صورة القمر بأشكاله حينما يكون هلالا وبدرا، وارتبطت-أيضا-بالممدوح، فيقول في مدح ممدوحه: (الديوان،ص٥٦)

فاردُدْ جُفونَكَ حَسرى عن أبي دُلفٍ ولا ملامةَ أنْ تعشى عن القمرِ

وحميد هو قمر الأرض المنير،يقول:(الديوان،ص٦٠)

لحميدٍ وحميدٌ قمرُ الأرضِ المنيرُ

وصور جمال محبوبته بالبدر،يقول:(الديوان،ص٧٦)

زائراً نمَّ عليه حسنُه كيف يخفي الليل بدراً طَلَعَا

من أين ما امتحنت محاسنُ وجهها بهرَ العيونَ بها هلالٌ مائلُ

ومن النجوم التي ظهرت في شعره،صورة النجوم التي تظهر قبل سقوط المطر، وهي النوء،وارتبطت هذه الصورة بكرم الممدوح وعطائه، يقول:(الديوان،ص٦٧)

ملكٌ تَنْدَى أنامِلُهُ كانبلاجِ النَّوْءِ عن مطره

ومن الصور الحسية الساكنة صورة الليل،فذكر الليالي الساجيات أي الطيبات،يقول:(الديوان،ص٥٨)

وليالٍ ساجياتٍ نامَ عنهنَّ السَّميرُ

وظهرت ظلمة الليل في صوره أثناء رحلته للممدوح،يقول:(اليوان،ص٦٧)

كم دُجى ليلٍ عسفنَ به يبتعثن الصُّبحَ من كِسَرِهْ

وفي أثناء الغزل،محبوبته تشبه البدر الذي لا يستطيع الليل أن يخفيه،يقول:(الديوان،ص٧٦)

زائراً نمَّ عليه حسنُه كيف يخفي الليل بدراً طَلَعَا

وشبه ممدوحه بالصباح الطالع في عتمة الليل،يقول:(الديوان،ص٨٠)

وأسفر تحت النّقعِ حتى كأنَّه صباح مشى في ظلمة الليلِ طالعُ

وغالبا ارتبطت صورة الليل بالصباح كما ورد في الأبيات السابقة، فالشاعر يربط بين الشيء وضده، فربط بين الظلام والضوء،وقد اتّضح ذلك في البيت السابق،إذ أن الأعداء يهربون أمام قوة ممدوحه ،يقول:(الديوان،ص٨٠)

بلى هاربٌ لا يهتدي لمكانِهِ ظلامٌ ولا ضوءٌ من الصبحِ ساطعُ

وتكررت صورة الليل وظلمته في أكثر من مكان في ديوانه،يقول:(الديوان،ص٦٠)

لم يذَرَّ في نواحيهِ من الصبحِ ذَرورُ

وممدوحه ضياء للصباح، يقول:(الديوان،ص٦٢)

أنت للصُّبحِ ضياءٌ ليس للصُّبحِ نَكيرُ

وصور انبعاث الصباح من ظلام الليل،يقول:(الديوان،ص٦٧)

كم دُجى ليلٍ عسفنَ به يبتعثن الصُّبحَ من كِسَرِهْ

ومن الصور الساكنة، ظهرت في شعره صورة الشمس، وربط بينها وبين صورة الممدوح، فممدوحه له مكانة سامية لا يصل لها آخر، يقول:(الديوان،ص٧٢)

سما فوق الرجال فليس يخفى وهل في مطلعِ الشَّمس التباسُ

وعندما توفي ممدوحه تغير ضياء الشمس إلى اللون الشاحب،يقول:(الديوان،ص٨٣)

ألم ترى أنَّ الشمَّسَ حالَ ضياؤُها عليهِ وأضحى لونها وهو أسفعُ

ومن صوره الطريفة أن جعل في وجه ممدوحه علامة الشجاعة،يقول:(الديوان،ص٩٩)

فرَّجْتَ سُدْفَتَها بوجهِكَ مُعْلِمًا وجعلتَ عالِيةَ الرِّماحِ ذُبالَها

ورسم الشاعر الممدوح بأروع الصور، فالله سبحانه وتعالى صور الممدوح من مجد ومن كرم، وصور الناس من ماء وطين،يقول:(الديوان،ص١١١)

صوَّرَكَ اللهُ من مجدٍ ومن كرمٍ وصوَّر الناسَ من ماءٍ ومن طينِ

ومجمل الصور البصرية الساكنة التي ظهرت في شعره:صورة الأرض بمرتفعاتها ومنخفضاتها وآكامها ووهادها، وهي من أكثر الصور انتشارا في شعره، وقد ارتبطت صورة الأرض بالممدوح في صوره كافة، فالممدوح هو حاميها وغفيرها، وهو قمرها،والناس يعيشون في كنفه وكرمه، وهو فارسها المغوار؛ ويعود سبب ذلك إلى أن شاعرنا قصر جلَّ شعره على موضوع المديح، وظهرت صورة الجبال، والماء، ونهر دجلة، والكواكب ومنها القمر، والهلال، والبدر، والنجوم ومنها النوء، والشمس، والليل، والصباح. وهذه الصور كافة ارتبطت بالممدوح.

الصور البصرية المتحركة:

هي كل صورة غلبت الحركة على أجزائها وتراكيبها، وتذكر فيها الأفعال التي تدل على الحركة. فتظهر في الصور البصرية المتحركة الصورة البصرية مع أفعال الحركة.

وظهرت الصورة البصرية المتحركة حينما وصف حصان الممدوح ،وكانت جزئيات الصورة الكلية كلها تدل على الحركة،فيقول:ر(الديوان،ص٣٣-٣٤)

وأذعرُ الرَّبْربَ عن أطفالِهِ بأعوجيٍّ دُلَفِي المنتسبْ
تحسبُهُ من مَرَحِ الغزِّ بهِ مُستنفراً بروعةٍ وملتَهبْ
مُرْتَهجٌ يرتجُّ في أقطارِهِ كالماءِ جالت فيهِ ريحٌ فاضطربْ
تحسبُه أقعدَ في استقبالِهِ حتى إذا استدبرتَه قلتَ أكبُّ
وهو على إرهافِهِ وطيّه يَقْصُرُ عنه المحزمان واللّببْ
تقولُ فيه جَنَبٌ إذا انتحى وهو كمتن القِدْحِ ما فيه جَنَبْ
يخطو على عُوجٍ تناهبنَ الثرى لم يتواكل عن شظىً ولا عصبْ

تحسبها ثابتةً إذا خطتْ كأنّها واطئة على الركبْ

حتى إذا تمَّت له أعضاؤهُ لم تنحبسْ واحدةٌ على عَتبْ

رمنا به الصّيدَ فرادينا به أوابد الوحشِ فأجدى واكتسبْ

مُحتَدمَ الجري يُبَارى ظِلَّهُ ويُعْرِقُ الأحْقَبَ في سوطِ الخَبَبْ

إذا تظنَّينا به صدَّقنا وإن تظنَّى نَوتَهُ العيرُ كَذّبْ

لا يَبلغُ الجهدَ بهِ راكبُهُ ويبلغُ الرِّيحَ به حيث طَلبْ

ثمَّ انقضى ذاكَ كأنْ لم يُغْنِهِ وكلُّ بُقيا فإلى يومٍ عَطَبْ

ونلحظ في هذا النص الألفاظ الكثيرة التي أشاعت الحركة في الصورة الكلية لهذا الحصان، ومنها (أذعر، والربرب وهو القطيع من البقر، والمرح، ومستنفرا،والروعة بمعنى الفزعة، ومرتهج والرهوجة ضرب من السير، ويرتج،وجالت، والريح، والاضطراب، وأقعد من الإقعاد في رجل الفرس وهو أن تفرش فلا تنتصب، والاستدبار، وأكب وهو الانطلاق للعدو، والجنب وهو الظلع، وانتحى، ويخطو، وتناهبن، وخطت، ولم تنحبس، والصيد، ورادينا به أوابد الوحش، ومحتدم، والجري، ويباري، ويعرق الأحقب والأحقب حمار الوحش، والخبب وهو ضرب من السير، وسريعا كالريح، ونشيطا) فأشاعت هذه الألفاظ الحركة في أجزاء الصورة البصرية لهذا الحصان.

وصور شهر رمضان، وتوقف الزيارات بين النَّدامى، وإبدالهم الغناء بالمصاحف، يقول:(الديوان، ص٣٠)

قد طوى بغضهم زيارةَ بعضٍ واستعاضوا مصاحفاً بالغناء

وتظهر أحيانا الحركة بالتقابل بين الأشياء في صوره البصرية المتحركة،وبخاصة عندما يصور نزول الشيب وذهاب الشباب، يقول: (الديوان،ص٣٢)

فنازلٌ لم يُبتَهج بقربهِ وذاهبٌ أبقى جوى حين ذهبْ

والصور البصرية الحركية تكاد تغطي ديوانه،ومعظمها في مدح الممدوح، ومنها ما رصده في حركة العيون حينما تنظر إلى طلعة الممدوح،فتكون متيقظة ولا تصاب بالوسن، يقول: (الديوان، ص٣٥)

ما وسنتْ عينٌ رأتْ طلعتَهُ فاستيقظتْ بنوبةٍ من النَّوَبْ

وصور حركة وجه الممدوح في حال الكرم، فيكون متهلل الوجه،أما في حال الغضب فيكون مقطّب الوجه،يقول: (الديوان،ص٣٥)

ويستهلُّ أملاً وخيفةً جانبها إذا استهلَّ أو قَطَبْ

وممدوحه يقوم بالأفعال الجليلة التي أدت إلى رفعته، على الرغم من أنه رفيع المكانة في الحسب والنسب، يقول:(الديوان،ص٣٥)

وهو وإن كان ابن فرعي وائل فبمساعيه تَرقّى في الحسبْ

وَبِعُلاهُ وعُلا آبائِهِ تُحْوَى غداةَ السَّبقِ أخطارُ القَصَبْ

والأخطار: جمع خطر، وهو الرهن الذي يسابق عليه. فحقق الممدوح العلا والارتقاء والحصول على المرتبة الرفيعة بأفعاله ونسبه.

وصور الشاعر حاله، وأنه يثني على الممدوح ؛لكي يعطيه مقابل ذلك المال، ويقابل بين صورته فهو مليء بالثناء على كرم الممدوح، ولكنه غير مليء بالمال،فيقول: (الديوان،ص٣٦)

خُذها إليكَ من مَلِيءٍ بالثنا لكنَّه غيرُ مليءٍ بالنشبْ

واثوِ في الأرضِ أو استفززْ بها أنتَ عليها الرأسُ والناسُ الذنبْ

ومن الألفاظ التي أشاعت الحركة (خذها، واثْو، وأستفزز).

وظهرت صورة قطع القفار للوصول إلى الممدوح،فشدّ رحاله ،فيقول:(الديوان،ص٣٨)

إلى أكرمِ قحطان وصلنا السهْبِ بالسهْبِ

إلى مجتمعِ النَّيل وَمُلْقَى أرْحُلِ الرَّكْبِ

ويصور ممدوحه بأنه جمع الناس بعد أن تفرقوا،وتلافاهم من الخطوب والمصائب في السلم والحرب، ويشيد بإقدامه في الحرب، وتوفيره الأمن والحياة الكريمة، وبخاصة في الشدائد،يقول: (الديوان، ص٣٩)

وأنت الجامعُ الفارقُ بين البعدِ والقربِ

بكَ اللهُ تلافى الناسَ بعدَ العثرِ والنَّكبِ

وَرَدَّ البيضَ والبيضَ إلى الأغمادِ والحجبِ

بإقدامكَ في الحربِ وإطعامك في اللّزْبِ

فكم أمنتَ من خوفٍ وكم أشغبتَ من شغبِ

وكم أصلحتَ من خطبٍ وكم أيَّمتَ من خِطْبِ

وما تَمهرُهَا إلاّ دراك الطعنِ والضربِ

وهذه الصور المنتشرة في الأبيات صور بصرية متحركة،فنلحظ صورة الجمع للأمة بعد تفرقها،ورد السيوف للأغماد، وردّ النساء للبيوت، والإقدام في الحرب، وإطعام الناس في الشدائد، والأمن، والخوف، والطعن، والضرب.

وغالبا تأتي صوره البصرية المتحركة في لوحات كاملة تغطي أجزاء القصيدة كلها، ومن ذلك وصف الشاعر ركب حميد الطّوسي يوم عيد في جيش عظيم لم يرَ مثله،يقول: (الديوان،ص٤١-٤٢)

غدا بأميرِ المؤمنينَ ويُمْنِهِ أبو غانم غدوَ الندى والسحائبِ

وضاقت فجاجُ الأرضِ عن كلِّ موكب أحاطَ بهِ مستعلياً للمواكبِ

كأنَّ سُمُوَّ النَّقعِ والبيضُ تَحْتهُ سماواتُ ليل أسفرتْ عن كواكبِ

فكان لأهلِ العيدِ عيدٌ بنسكهم وكان حميدٌ عيدهم بالمواهبِ

ولولا حميدٌ لم تبلَّجْ عن النَّدى يمينٌ ولم يدركْ غنًى كسبُ كاسبِ

ولو ملكَ الدنيا لما كان سائلٌ ولا اعتام فيها صاحبٌ فضلَ صاحبِ

ذهبتَ بأيامِ النَّدى فارداً بها وصَرَّمتَ عن مسعاكَ شأوَ المُطالبِ

وعدَّلتَ ميلَ الأرضِ حتى تعدَّلت فلم ينأ منها جانبٌ فوقَ جانبِ

بلغتَ بأدنى الحزمِ أبعدَ قُطرها كأنَّكَ منها شاهدٌ كلَّ غائبِ

فالألفاظ التي استخدمها الشاعر كلها ألفاظ تشيع الحركة في صوره البصرية، ومنها: (غدا، وغدو، وضاقت، وموكب، وأحاط، وسمو، والنقع، والبيض، وأسفرت، وعيد، وإعطاء المواهب، وملك، وسائل، واعتام، وذهبتَ، وصرمتَ، وعدّلتَ، وتعدّلتْ، وينأ، وجانب فوق جانب، وبلغتَ، وأبعد قطرها، وشاهد، وغائب، ونلحظ أن الصور الحسّية متداخلة؛ وذلك لأنه يريد أن يعبر عما يجول في خاطره ومشاعره؛ فيقول جابر عصفور:"فمدركات الحسّ هي المادة الخام التي يبني بها الشاعر تجاربه، ولا يعني الانحصار في إطار حاسّة بعينها، ولا تعني محاكاة الإحساس بشكل عام، فهنا يجعلها أشبه بالمحاكاة الروتينية.إنما هي محتوى الفكر يتركز فيه الانتباه على خاصية ما،فالصورة ليست نسخة مادية أو انعكاس لشيء من الأشياء".(عصفور،٣٧٣)

واستطاع خياله أن يجسد هذه الصور كلها،ويبين مصطفى ناصف الدور المهم للخيال في إنتاج الصور الحسية،وبخاصة الصور البصرية.(ناصف،١٩٥٨)

ومن صوره البصرية الحركية الطريفة، أنه استطاع أن ينقل حركة مشاعره وأحاسيسه، وبخاصة في موضوع الغزل، فكانت محبوبته تزوره بتكتّم وحذر، وفي أوقات الغفلة والنوم ليلا، فصور محبوبته وحركتها في شعره، ولكن المهم تصويره لمشاعره واضطراب هذه المشاعر، يقول: (الديوان، ص ٧٦)

بأبي من زارني مكتتماً حذرًا من كلِّ واشٍ جَزِعا

زائرًا نمَّ عليهِ حسنُه كيف يخفي الليل بدرًا طَلَعَا

رَصَدَ الغفلةَ حتى أمكنتْ ورعى السَّامرَ حتى هَجَعَا

ركبَ الأهوالَ في زَورتِهِ ثمَّ ما سلَّم حتّى ودَّعَا

ورسمت الصورة البصرية المتحركة ملامح الإنسان الخارجية والانفعالية، يقول: (الديوان،ص٨١)

وراحَ عَدوُّ الدِّينِ جذلانَ ينتجي أماني كانت في حشاه تَقَطَّع

فظهرت صورة العدو الجذلان وما تشيعه لفظة جذلان من إيحاءات تثير المتلقي، وكيف يناجي هذا العدو نفسه، وأن أمانيه الماكرة كادت أن تقطع أحشاءه.

وعبرت الصورة الحسية البصرية المتحركة عن ألمه وحزنه الشديد على فقدان ممدوحه الأثير حميد الطوسي، ولا بد من الإشارة إلى،أننا حينما ندرس نصًا كاملا، تظهر فيه تداخلات التشكيلات الحسية للصورة كافة، فتجده يقول في رثاء حميد الطوسي: (الديوان،ص٨٢-٨٣)

على أيِّ شجوٍ تشتكي النَّفس بعده إلى شجوه أو يذْخر الدمعَ مدمعُ

ألم تر أنَّ الشمسَ حال ضياؤها عليهِ وأضحى لونها وهو أسفعُ

وأوحشتِ الدُّنيا وأودى بهاؤها وأجدبَ مرعاها الّذي كان يمرعُ

وقد كانت الدُّنيا به مطمئنة فقد جعلت أوتادها تتقلعُ

بكى فقده روحُ الحياةِ كما بكى نداه النّدى وابن السبيلِ المدفع

وفارقتْ البيضُ الخُدورَ وأبرزتْ عواطِلَ حسرى بعده لا تقَنَّعُ

وأيقظَ أجفانًا وكان لها الكرى ونامتْ عيونٌ لم تكن قبل تَهْجَعُ

فبثّ الصور البصرية الحركية في ثنايا هذه الأبيات، ومنها (الشجو، يذخر الدمع، ترى، أحال، وأضحى، وأوحشت الدنيا، وأودى بهاؤها، وأجدب مرعاها، ويمرع، والدنيا المطمئنة، وأوتادها تتقلع،البكاء، وابن السبيل المدفع، وفارقت، وعواطل حسرى، وأيقظ، ونامت،وتهجع) فاستطاع الشاعر أن يبث من خلالها ما تجيش به نفسه من تفجع وألم وحزن على فراق ممدوحه. وتدل أشعاره عموما على امتلاك الشاعر لأدواته وأصباغه الفنية جميعها،فوظف ذلك كله؛لكي تأتي أشعاره بهذه الدرجة العالية من الإتقان والجمال الفني، ولاشك في أن خياله الخصب الواسع الخلاق ساعده في إظهار تجربته الشعرية على نحو متميز، على الرغم من أنه لم يبصر هذه الصور، ولكنه اعتمد على ثقافته وخياله، فأبدع هذه القصائد التي تتمتع بمستوى فني رفيع.

وحفل ديوان الشاعر بموضوع واحد رئيس وهو موضوع المديح، وفي أثناء مديحه تكرر موضوع الشيب والشباب في أكثر من قصيدة، وربما يعود سبب ذلك إلى قلق الشاعر من تقدم سنّ ممدوحه، فتراه على نحو مستمر يعقد مقارنة بين الشباب ومتعه وخاصة النساء،والشيب ووقاره وحكمته، ومن ذلك، قال يمدح أبا دُلفٍ العجلي: (الديوان،ص٣٢)

رِيعَتْ لمنشور على مَفْرِقِهِ ذمَّ لها عَهدَ الصِّبا حينَ انتسبْ

أهدامُ شيبٍ جُدُدٌ في رأسِهِ مكروهةُ الجدَّةِ أنضاءُ العُقُبْ

أشرقْنَ في أسودَ أزرينَ بِهِ كان دجاه لهوى البيضِ سَبَبْ

واعتقنَ أيامَ الغواني والصِّبا عن مَيِّت مطلبُهُ حبُّ الأدبْ

لم يزدجرْ مرعويًا حين ارعوى لكنْ يدٌ لم تتَّصلْ بِمُطَّلَبْ

لم أرَ كالشيبِ وقارًا يُجتوى وكالشّبابِ الغضِ ظِلّا يستلبْ

فنازلٌ لم يُبتَهجْ بقربِهِ وذاهبٌ أبقى جوًى حين ذهب

فانتشرت الصور البصرية الحركية في هذا النص، ومنها أن التي شاهدته (ريعت) أي أصيبت بالفزع لرؤيتها الشيب الذي لمع برأسه،وهذا الشيب (ذمَّ) عهد الصِّبا، ولكراهيته للشيب يصوره بـ (أهدام) وهو الثوب الخلق المرقع، وحينما يتحدث عن الشباب والنساء يربط ذلك بلون الشعر الأسود وهو المفضل للنساء (كان دجاه لهوى البيض سبب)، ويرى أن الشيب فيه الوقار أي العقل والحلم، ولكنه عبر عن كراهيته للشيب بـ (يجتوى)، وفي قوله:(فنازل لم يبتهج بقربه) ويبدي تحسره على أيام الشباب (وذاهب أبقى جوى حين ذهب) فاستطاع الشاعر بهذه الصور البصرية المتحركة أن يعبّر عما يدور في نفسه من مشاعر. وهذه المشاعر تتكرر في أبيات في موقع آخر، وتتكرر المعاني نفسها، إذ يقول: (الديوان،ص٤٤)

جفا طربَ الفتيانِ وهو طَروبُ وأعقبهُ قربَ الشَّبابِ مشيبُ

تجافتْ عيونُ البيضِ عنهُ وربَّما مددن إليهِ الوصلَ وهو حبيبُ

لعمري لنعمَ الصَّاحب الشيبُ واعظًا وإن كان منهُ للعيونِ نكوبُ

خليطُ نهًى منتاب حلمٍ وإنَّهُ على ذاكَ مكروهُ الخلاطِ مريبُ

والصور البصرية المتحركة بدت في (جفا، وطرب، وطروب، وأعقبه، وتجافت عيون البيض، ومددن إليه الوصل، والصاحب، وواعظا، وللعيون نكوب أي عدول واجتناب، وخليط).بل، وللشاعر قصيدة كاملة في موضوع الشّباب والمشيب، واللافت للنظر، أن صوره البصرية المتحركة في هذا الموضوع متشابهة، والألفاظ متشابهة، وتتردد المعاني نفسها، وربما أنه ألحّ على هذا الموضوع بسبب نفوره من الشيب، وحنينه لأيام الشباب لما فيه من قوة وصحة وتمتع بمتع الحياة، وبخاصة النساء، إذ يقول: (الديوان،ص٩٠)

جلالُ مشيب نزلْ وأنسُ شبابٍ رحلْ

طوى صاحبٌ صاحبا كذاك اختلافُ الدولْ

شبابٌ كأنْ لم يكنْ وشيبٌ كأنْ لم يزلْ

كأنَّ حسورَ الصبا عن الشيب حين اشتعلْ

زُها أمل مُونقٍ أطلَّ عليهِ أجلْ

أعاذلتي أقصري كفاك المشيبُ العذلْ

بدا بدلًا بالشبا ب ليت الشبابَ البدلْ

جلالٌ ولكنّهُ تحاماهُ حُورُ المُقـلْ

وظهـرت الصـور البصـرية في (نـزل، ورحـل، وطـوى صـاحب صـاحبا، ولم يكـن، ولم يـزل، وحسـور والحسـور: الانقشـاع، واشتعل،وأمل مونق، وأطل عليه أجل، وأقصري، والعذل، وبدلا، وتحاماه). ولخص الشاعر حزنه لظهور الشيب، وسعادته بالشباب في أبيات قصيرة وواضحة المعنى،فيقول: (الديوان،ص٨٩)

راعهُ الشيبُ إذ نزل وكفاه من العذلْ

وانقضت مدّةُ الصبا وانقضى اللّهوُ والغزلْ

قد لعمري دملتهُ بخضابٍ فما اندَمل

فابك للشيب إذ بدا لا على الرَّبعِ والطَّللْ

فالصورة البصرية واضحة في الأبيات السابقة، ومنها (راعه، ونزل، والعذل، وانقضت، واللهو، ودملته، وابك).

وأجاد الشاعر في وصف الخمر في صور حسية بصرية متحركة، واستعان على ذلك بالتشبيه، فأبدع الشاعر حينما وصف الفقاقيع التي تعلو الخمر، إذ يقول: (الديوان،٩١)

ترى فوقَها نمَشًا للمزاجِ تقاربُ لا تتَّصلنَ اتصالا

كوجهِ العروسِ إذا خَطَّطتْ على كلِّ ناحيةٍ منهُ خَالا

واستعار الابتسام لأزهار الروضة،إذيقول:(الديوان،ص٦٧)

مُسْتَهِلٌّ عن مواهبِهِ كابتسامِ الرَّوْضِ عن زهَرِهْ

وصور شارب الخمر حينما يشربها وأثرها في رأسه فهي لينة، وأما في نفسه فينفر من مذاقها،إذ يقول: (الديوان،ص٧٢)

وصافيةٌ لها في الرأسِ لينٌ ولكنْ في النفوسِ لها شماسُ

والشماس:من شمست الناقة إذا نفرت وشردت وجمحت.

الصورة الحسية البصرية الملونة:

بدت الألوان- أحيانًا- في صور الشاعر، ومنها تلوينه لخدود النَّدامى باللون الوردي، ولون الخمر في الكؤوس باللون الأصفر، والزعفران وما يثيره من لون ورائحة، فنجده يقول في وصف الخمر: (الديوان،ص٧٥)

وردةُ اللّونِ في خدودِ النَّدامى وهيَ صفراءُ في خدودِ الكؤُوسِ

وكأنَّ الشعاعَ منها على الكف جِسَادٌ على مَداكِ عَروسِ

ويلون السحاب باللون الداكن،إذ يقول:(الديوان،ص٤٨)

وغيْثٍ تألَّفَهُ نوْوهُ فألبَسَه غلَلًا أرْبَدَا

ويظهر اللون الأسود حينما يذكر موضوع الشيب والشباب،إذ يقول:(الديوان،ص٣٢)

أشرقنَ في أسودَ أزرينَ بهِ كان دُجاهُ لهوى البيضِ سَبَبْ

وصورة السلاح باللون الأسمر،(الخضر:الأسمر)،إذ يقول:(الديوان،ص٣٩)

وبالماذيةِ الخُضْرِ وبالهنديَّةِ القُضْبِ

وصور ظلام الليل،إذ يقول:(الديوان،ص٦٠)

وَقَطًا نازعتُهُ المورْدَ واللَّيلُ كَفُورُ

لم يذَرَّ في نواحيهِ من الصُّبحِ ذَرورُ

ودجى الليل،إذ يقول:(الديوان،ص٦٧)

كمْ دجى ليلٍ عَسَفْنَ بِهِ يبتعثْن الصُّبْحَ من كِسَرِهْ

ويذكر السدفة بمعنى الظلمة، ولكنه استعارها للتعبير عن القضاء على الأعداء، إذ يقول:(الديوان،ص٩٩)

فرَّجتَ سُدْفَتَها بوجهكَ مُعلِمًا وجعلتَ عاليةَ الرِّماحِ ذُبَالَها

وظهرت صورة العلق باللون الأحمر،وهو الدم،إذ يقول:(الديوان،ص٦٢)

يَستهِلُّ العَلَقُ السَّا ئِل منه والنَّعِيرُ

وصورة الدم تكررت في شعره،إذ يقول:(الديوان،ص٦٦)

وَدَمٍ أهْدَرْتُ من رشإ لم يُرِدْ عقلًا على هَدَرِهْ

وظهرت –أيضا–صورة (جيلوه) عدو ممدوحه الملطخ بالدماء، حينما تمكن أبو دُلف العجلي من قتله،إذ يقول:(الديوان،ص٦٩)

فأبحْتَ الخيلَ عقوَتَه وقريتَ الطَّيرَ من جَزَرِهْ

ورماح ممدوحه مصبوغة بدماء الأعداء،إذ يقول:(الديوان،ص٨٠)

إذا ما تردَّى لأُمَةَ الحربِ أُرعِدتْ حشا الأرضِ واستدمى الرِّماحُ الشوارعُ

وفي ما يتعلق باللون الأحمر،فقد ظهرت صورة النار وشررها،إذ يقول:(الديوان،ص٦٧)

يَتَفَرَّى عن مناسِمِها كتَفَرِّي النارِ عن شَرَرِهْ

ويتغير لون الشمس فيصبح لونها شاحبا،والدّنيا ذهب بهاؤها؛ بسبب وفاة ممدوحه، إذ يقول: (الديوان،ص٨٣)

ألم ترَ أن الشمسَ حال ضياؤُها عليه وأضحى لونُها وهو أسفعُ

وأوحشتِ الدُّنيا وأودى بهاؤها وأجدبَ مرعاها الذّي كان يُمْرِعُ

وظهرت صورة خضاب الشعر،إذ يقول:(الديوان،ص٨٩)

قد لعمري دَمَلْتهُ بخَضَابٍ فما اندَمَلْ

ويظهر اللون الأبيض، وغالبا ما يطلق على السيوف اسم (البيض)، إذ يقول: (الديوان،ص٩٥)

تزورُ سخطًا فتُمسي البيضُ راضيةً وتستهِلُّ فتبكي أعينُ المالِ

ويمدح أبا دُلف العجلي بالأبيض كناية عن الكرم والعطاء تشبيها له بالغمام الأبيض، يقول: (الديوان،ص١٠٩)

وأبيضَ عجليٍّ رأيتُ غَمَامَهُ وأسيافَهُ تقضي على الحدثانِ

ويكن للنساء بالبيض،إذ يقول:(الديوان،ص٣٩)

وَرَدَّ البيضَ والبيضَ إلى الأغمادِ والحُجْبِ

فجانس بين البيض والبيض.البيض الأولى:السيوف.والبيض الثانية:النساء.

وربما يحمل اللون أبعادًا ودلالات لها ارتباطات غير عادية بما يحمله وعي الشاعر الذي يقف أمام الإنسان فيمنحه صفات خارقة بعيدة عن عالم الواقع،فيقول في مدح ابن الممدوح بعد وفاة أبيه:(الديوان،ص٨٣)

أغرُّ على أسيافِهِ ورماحِهِ تُقَسَّم أنفالُ الخميس وتُجْمَعُ

حوى عن أبيهِ بَذْلَ راحتِهِ النَّدى وطعنَ الكُلى والزَّاعبيَّةُ شُرَّعُ

ويشبه لون الخمر بسبائك الذهب الأصفر، وحينما تمزج ينقدح منها الشرر، يقول: (الديوان،ص١١٢)

وكأنَّ المزاجَ يقدحُ منها شررًا في سبائكِ العقيانِ

الصورة الحسية البصرية الضوئية:

أشاع الشاعر الأضواء في بعض صوره، وهذه الأضواء لها فائدة في إثارة وإيقاظ ذهن المتلقي وخياله، وهذا النمط يظهر في الصور الحسية البصرية، ومن هذه الصور الضوئية صورة الإشراق للشيب في الشعر الأسود،يقول: (الديوان،ص٣٢)

أشرقنَ في أسودَ أزرينَ بهِ كان دجاهُ لِهوى البيضِ سَبَب

والشباب الفينان له ظل،يقول:(الديوان،ص٣٢)

لم أرَ كالشَّيبِ وقارًا يجتوى وكالشَّباب الغضِّ ظلّا يُستَلَبْ

ويستعير الاشتعال لانتشار الشيب،يقول:(الديوان،ص٩٠)

كأنَّ حُسورَ الصِّبا عن الشيب حين اشتعلْ

ولممدوحه ظلٌّ يعيش فيه الخائف الوجل،يقول:(الديوان،ص٨٩)

وإلى ظلِّ عزِّه يلجأُ الخائف الوجلْ

وظهرت صورة الأبلج وهو المضيء الواضح للممدوح وسيفه،يقول:(الديوان،ص٣٥)

فَحَمِّلِ الدَّهْرَ ابن عيسى قاسمًا ينهضْ بهِ أبْلَجَ فرَّاجَ الكُرَبْ

كرونقِ السَّيفِ انبلاجًا بالندى وكغراريهِ على أهلِ الرِّيَبْ

وصورة الأبلج والتبلج وهي الإسفار والإضاءة،ونجدها تتردد كثيرا في ديوانه،وترتبط بالممدوح،يقول: (الديوان،ص٤١)

ولولا حميدٌ لم تَبَلَّجْ عن النَّدى يمينٌ ولم يدركْ عنًى كَسْبُ كاسِبِ

وممدوحه ضياء للصباح،يقول:(الديوان،ص٦٢)

أنت للصُّبحِ ضِياءٌ ليس للصُّبحِ نكيرُ

وأيضا-ممدوحه هو قمر الأرض المنير،يقول:(الديوان،ص٦٠)

لحميدٍ وحميدٌ قمر الأرضِ المنير

وظهرت صورة انبلاج النوء ،وهي نجوم تظهر قبل المطر، وارتبطت بالممدوح، يقول: (الديوان،ص٦٧)

مَلِكٌ تَنْدى أنامِلُهُ كانبلاجِ النَّوءِ عن مطرِهْ

ومن الصور الضوئية أسفرت في قوله:(الديوان،ص٤١)

كأنَّ سموَّ النَّقعِ والبيضُ تحتَهُ سماواتُ ليل أسفرتْ عن كواكبِ

وللممدوح ضوء وهاج حتى أن العيون تضعف وتكلُّ عن النظر إليه،يقول: (الديوان،ص٦٦)

قَدْكَ من مُوفٍ على أملٍ تَحْسِرُ الأبصَارَ عن نظَره

ومن الصور الضوئية،تظهر صورة النار وشررها، يقول: (الديوان،ص٦٧)

يتفرَّى عن مَنَاسِمِها كتفرِّي النَّارِ عن شَرَرِهْ

وأفعال الممدوح المجيدة دائما مضيئة في أيامه كلها،يقول:(الديوان،٦٨)

أيُّ يوميكَ اعْتَزيتَ له استضاءَ المجد من قُتُرِهْ

وأبدع الشاعر في وصف الخمر،فللخمر شعاع، ولها ضوء ووهج حينما تمزج، أوما يشبه القبس،يقول: (الديوان،ص٧٢)

كأنَّ يدَ النديم تُدير منها شُعاعًا لا يحيطُ عليه كاسُ

معتقةٌ إذا مُزجَتْ أضاءَتْ فأمكنَ قابِسًا منها اقتِباسُ

وهذه الصورة تتكرر في وصف الخمر،فيجعل لها شعاعا بيد حاملها، إذ يقول: (الديوان،ص٧٥)

وكأنَّ الشُّعاعَ منها على الكَف جسادٌ على مداكِ عروسِ

ورسم الشاعر الهارب من ممدوحه بأنه في مكان مظلم لا يسطع فيه ضوء الصّباح، يقول: (الديوان،ص٨٠)

بلى هاربٌ لا يهتدي لمكانهِ ظلامٌ ولا ضوءٌ من الصُّبْحِ ساطعُ

وعبّرت الصورة عمومًا عن الحالة النفسية للشاعر، فحينما يكون حزينًا لفقد ممدوحه يضفي مشاعر الحزن على مظاهر الطبيعة، فضياء الشمس قد تغيّر بوفاة ممدوحه وأضحى شاحبًا، يقول:(الديوان،ص٨٣)

ألم ترَ أنَّ الشَّمسَ حالَ ضياؤها عليهِ وأضحى لَونُها وهو أسْفَعُ

ويصور بريق الآمال بضوء النوء،يقول:(الديوان،ص٩٥)

لولا أبو دُلَفٍ لم تَحْيَ عارفةٌ ولم ينؤ نوءُ مأمولٍ بآمالِ

ويجعل للممدوح بريقًا كالبرق الذي يبشر بالمطر،وسينال العطاء بمبادرة من الممدوح، يقول:(الديوان،ص١١٠)

ما شمْتُ بَرْقَكَ حتّى نلت ريِّقَهُ كأنَّما كنتَ بالجدوى تُبادرُني

وصور الخمر حينما تمزج وأن لها بريقا يشبه بريق الذهب،يقول:(الديوان،ص١١٢)

وكأنَّ المزاجَ يقدح منها شررًا في سبائِكِ العقيانِ

ووجه الممدوح فيه نور وإشراق،يقول:(الديوان،ص١١٣)

وَجْهُهُ مشرِقٌ إلى معتفيهِ ويداه بالغيثِ تنفجرانِ

ونلحظ في صوره كلّها،أنّه يرسم لممدوحه دائما أروع وأجمل الصور ولا تخلو من المبالغة، فهو لم يتقيد بالواقع، بل تخطاه، ورسم هذه الصور الفائقة الجمال.وقد أشار إلى ذلك أرسطو حينما بين نظرية المحاكاة"فالشاعر يسلك في محاكاته للأشياء إحدى الطرائق الثلاث:

١. إما أن يحاكيها كما كانت أو تكون.

٢. إما أن يحاكيها كما يجب أن تكون،وهنا الشعر يكبر الطبيعة ويكملها.

٣. إما أن تكون المحاكاة لما يعتقد ويظن،مثلا حكايات الآلهة.

ففي الحالة الأولى تقليد خالص ووقوف عند حدود الظواهر،ونقلها نقلاً فوتغرافيًا أمينا. وفي الحالة الثانية تكمن قيمة الفن بصورة عامة في إكبار الطبيعة ودفعها نحو الكمال"فقطعة الحجر التي لم تكن لها فائدة تصبح لها قيمة عندما يمكن تشكيلها في صورة أداة؛ وبذلك تجنّد في خدمة الإنسان" وفي الحالة الثالثة يدخل في عوالم رؤيوية تنفرد في التوفيق بين المتناقضات". (فشر،١٩٧١) وقد سلك شاعرنا المنحى الثاني،فكان يرقى بممدوحه دائمًا إلى الصورة المثالية ؛ولهذا جاءت صوره جمالية.

الصورة الحسّية السمعية:

هي التي تلي الحاسة البصرية من حيث القيمة الجمالية، وهما معا يفضلان الحواس الأخرى من حيث القيمة العقلية والثقافية (مراد،١٩٨٠). ويحدثنا يوسف مراد عن قيمة حاسّة السمع بالنسبة للحواس الأخرى، فيقول: "فللحواس الأخرى التي تدرك عن بعد ميزة السّبق والتوقّع والتبصّر ، غير أنّ حاسّة السمع أقلها مادية وأقواها استخداما للرموز والإشارات العقلية. وهل من رموز أكثر تحررا من المادة وأشمل دلالة من الرموز اللغوية التي يصطنعها التعبير اللفظي؟"(مراد،١٩٨٠)

ظهرت الصورة الحسية السمعية في شعر الشاعر ولكنها بنسبة أقل من الصورة الحسية البصرية، ومن الألفاظ التي تدل على حاسة السمع واستخدمها الشاعر (ضحكة، وضحكات، والقراء، والندامى، وقف، ويرتج، وراغية السقب، وقول، وحرف النّداء يا، وصورة الطبل، وصورة الرحى، وصغت أذني لزاجرها، وطرقت تلحي، فقلت لها، وزحوف في صواهله،وصياح الحشر، وخروج الطير من وكره، والمناجاة، والريح عاصفة، وتحلف، وأسكت لا أشتكي، شتمك، أعاذلتي أقصري، وأوصى، واسميك، وأناديك، وأرسال قطر تهامى فوق أرسال، والحديث الباطل، وتكلم عاذل، وحيدي حيادِ، وما قال : لا، وانقطعت مدة الكلام، فصفّق،خرسًا، والأذان، والقيا في مسامع سدها الصوم، ورُقي الموصلي أو دحمان، وسماع القيان والعيدان، ولام فيها.

واحتلت الصورة السمعية المرتبة الثانية في صوره الحسية،والصورة السمعية لا تقل عن أهمية الصورة البصرية، فلقد أوجد السمع أرفع الفنون: "الشعر،والموسيقى، والبلاغة"، ويثير الصوت في النفس الإنسانية إيقاعًا مؤثرًا، وقد يكون هذا الإيقاع حزينًا أو مفرحًا، وقد يتغلغل إلى أعماق الإنسان؛ ولهذا يقول جويو:"فالألم الذي يعبّر عنه بالصوت يؤثر فينا، على وجه العموم تأثيرًا روحيًا أبلغ من تأثير الألم الذي يعبّر عنه بقسمات الوجه وحتى بالحركات."(جويو،١٩٨٥)

ولنتتبع صوره السمعية وكيف استطاعت أن تقوم بدور مهم في بناء تجربته الشعرية؟ ومن أوائل هذه الصور تصويره لشهر رمضان، وكيف تبدلت عادات الناس في هذا الشهر، فقبل رمضان كانت حياتهم عابثة لاهية يعاقرون الخمر فيها، ولكن حينما حلّ هذا الشهر، عكفوا على تلاوة القرآن الكريم، يقول: (الديوان،ص٣٠)

فهو شهر الرَّبيعِ للقراءِ وفراق النَّدمانِ والصهباءِ

وأنا الضامنُ المليَّ لمن عاقرها مفطِرًا بطولِ الظَّماءِ

وكأنِّي أرى النَّدَامى على الخَسفِ يرجونَ صُبحَهم بالمساءِ

قد طوى بعضهم زيارَةَ بعضٍ واستعاضوا مصاحفًا بالغناءِ

فالصور السمعية واضحة في النص، ومنها: (القراء، والنّدمان، والزيارة، والغناء)، وهذه الصور الموحية تثير ذهن المتلقي وتجعله منشّدًا لمتابعة النص, ومستمتعًا بقوة خيال وإبداع الشاعر.ولابد من الإشارة إلى أن العناصر الحسية جميعها تتضافر معا لإبراز المعنى الكلّي أو الصورة الكليّة للنص.

وانتشرت الصورة السمعية في شعره، وعن طريقها تمكن من رسم لوحاته الفنية، ومنها تصويره لفرس الممدوح، يقول:(الديوان،ص٣٣)

مُرتَهِجٌ يرتجُّ في أقطارِهِ كالماءِ جالتْ فيه ريحٌ فاضطربْ

تحسبُه أقعد في استقباله حتّى إذ استدبرته قلتَ أكبْ

تقولُ فيه جَنَبٌ إذا انتحى وهو كمتن القِدْحِ ما فيه جَنَبْ

يخطو على عُوجٍ تناهَبنَ الثرَّى لم يتواكلْ عن شظًى ولا عصَبْ

تحسبها ثابتَة إذا خَطَتْ كأنَّها واطئةٌ على الرُّكبْ

والرهوجة: ضرب من السير وفي سير سنابك هذا الفرس صوت، وكان في هذا السير ارتجاج في جسد الفرس والأرض من تحت سنابكه، وشبه الارتجاج بحركة الماء المضطرب حينما تعصف به الرياح.ومن الأفعال التي توجد فيها حاسة السمع الفعل تقول، وحمل في هذا النص طابع التعجب،وأيضا الفعل يخطو؛ وكانت خطواته سريعة وكأنّ قوائمه ثابتة ولها صوت مرتفع.

واستخدم الشاعر حرف النداء في مواطن كثيرة في ديوانه، وهذا الحرف يعتمد على حاسة السمع،إذ يقول في مدح ممدوحه: (الديوان،ص٣٥)

يا زهرةَ الدنيا ويا بابَ الندى ويا مجيرَ الرُّعبِ من يوم الرَّهبْ

وقوله في أبي دُلف العجليّ:(الديوان،ص٤٦)

أبا دلف يا أكذبَ النَّاسِ كلِّهِمُ سوايَ فإني في مديحكَ أكذبُ

ومن حروف النداء أحيانًا يستخدم "أيا"،كقوله لممدوحه:(الديوان،ص٣٩)

أيا ذا الجودِ فاسلمْ ما جَرَتْ حُقْبٌ إلى حُقْبِ

واستخدم الشاعر-أحيانًا- ضمير المخاطب"أنت" وهذا الضمير يعتمد على حاسة السمع،وتكرر كثيرًا في أشعاره،كقوله حينما يمدح :(الديوان،ص٦١)

أنت للملكِ نَصيرٌ ولكَ اللهُ نَصيرُ

وقوله:(الديوان،ص٦٢)

أنت للصُّبحِ ضياءٌ ليس للصُّبحِ نكيرُ

واستخدم –أيضًا-ضمير المتكلم"أنا" وهذا الضمير يعتمد على حاسة السمع، كقوله في مدح ممدوحه: (الديوان،ص٩٣)

أنا أهواكَ وحالَيْكَ صَرومًا وَوَصُولا

واستخدم –أيضًا-ضمير الغائب"هو" وهذا الضمير يعتمد على حاسة السمع، كقوله في مدح أبي دُلف العجليّ:(الديوان،ص٩٨)

هو الأمل المَبسوطُ والأجلُ الّذي يَمَرُّ على أيامِهِ الدهرُ أو يَحْلو

ومن صوره السمعية الطريفة،قوله في ترك الضِّيافة وإضاعَةِ الضَّيف:(الديوان،ص١٠٨)

أقاموا الديدَبان على يفاعٍ وقالوا لا تنمْ للديدبانِ

فإن آنستَ شخصًا من بعيدٍ فصفِّق بالبنانِ على البنانِ

تَرَاهمْ خَشيَةَ الأضياف خرسًا ويأتونَ الصَّلاةَ بلا أذانِ

والديدبان:الطليعة الشَّيِّفة.واليفاع: المرتفع من الأرض.ونلحظ في النص الألفاظ الحسية السمعية ومنها: وقالوا،فصفِّق بالبنان على البنان،وخرسًا، ويأتون وفي هذا الفعل الحركة والصوت،والأذان.

وصور في صوره السمعية الهلاك والدمار الذي يحلّه ممدوحه بالأعداء مستعينا بصورة رغاء السقب: وهو رغاء سقب الناقة حين عقرها أحمر ثمود،فقد قال: (الديوان،ص٣٨)

وإن حاربها حلَّت بها راغيةُ السَّقْبَ

ومن الصور السمعية،ظهرت صورة الطّبل السمعية في هجاء أبي دُلف العجلي على سبيل المداعبة،يقول:(الديوان،ص٤٦)

أبو دُلفٍ كالطَّبلِ يذهب صوتُه وباطِنُه خِلوٌ من الخيرِ أخْرَبُ

وظهر الحوار في بعض صوره السمعية، كقوله:(الديوان،ص٦٦)

طرقت تلحي فقلت لها اذهبي ما أنت من سُوَرِهْ

وتلحي:تلوم.

ويناجي نفسه إثر إعجابه بفرس الممدوح،فيقول:(الديوان،ص٣٣)

تقول فيه جَنَبٌ أذا انتحى وهو كمتنِ القِدْحِ ما فيه جَنَبْ

وظهر هذا الحوار النفسي بصورة سمعية في مدح أبي دُلف العجليّ،فيقول:(الديوان،ص٦٨)

لست أدري ما أقول له غيرَ أن الأرضَ في خفرهْ

ويظهر هذا الحوار النفسي في مكان آخر من ديوانه وبصورة أجمل، فيصور فيها الحالة الإنسانية المعذبة حينما تصاب باليأس، إذ يقول:(الديوان،ص٧١)

عسى فرجٌ يكون عسى نُعَلِّل أنْفُسًا بعسى

فلا تَقْنَطْ وإنْ لاقيت همًا يقبضُ النَّفْسا

فأقرَبُ ما يكونُ المرءُ من فرجٍ إذا أيِسا

وظهر هذا الحوار النفسي في قوله مخاطبًا ممدوحه:(الديوان،ص٩٣)

وتُسميني عَدوًا واسميكَ خليلا

وأناديكَ عزيزًا وتناديني ذليلا

فبدت الصورة السمعية في تسميني،واسميك،وأناديك، وتناديني.

واستخدم فعل الأمر" قل" وهذا الفعل يرتبط بحاسة السمع،إذ يقول:(الديوان،ص٧٩)

قل لابن سهلٍ فإنني رَجلٌ إنْ لم تدعني فإنَّني أدعُ

وإذا دعا أحد باسم محبوبته، وسمع هذا الدعاء تحركت مشاعره نحوها، حتى أن قلبه يكاد السقوط، فقد قال: (الديوان،ص٧٨)

إذا دعا باسمها داعٍ فأسمعني كادتْ له شعبةٌ من مهجتي تقعُ

وأبدع الشاعر بألوان صوره السمعية، فجاءت بلون لطيف حينما صور حلفان محبوبته، فتعده بالوصال، ولكنها تنكث ما تحلف؛ ولهذا يفضل السكوت ولا يشتكي، فنجده يقول: (الديوان،ص٨٦)

وتَحلفُ لي بالهوى وتنكثُ ما تَحْلِفُ

وأسكُت لا أشتكي وأعرفُ ما تَعْرِفُ

ويطلب من محبوبته أن تكف عن لومه،يقول:(الديوان،ص٩٠)

أعاذلتي أقصِري كَفاك المشيبُ العَذَلْ

وبين أنه يزداد كلفًا بمحبوبته حينما يتكلم العاذل عنها، ويسرُّ بسماع الحديث الباطل عنها، يقول:(الديوان،ص٩٧)

ويزيدني كَلَفًا بها هِجْرَانُها ويَسرُّني عنها الحديثُ الباطِلُ

وإذا تكلّمَ عاذلٌ في حبِّها أغرى الفؤادَ بها وَرَقَّ العاذِلُ

ونلحظ أن الشاعر رصد الواقع الخارجي وفي الوقت نفسه عبر عما يعتلج في مشاعره؛ ولهذا كان الشاعر موفقًا في تجربته الشعرية؛ فالعملية الشعرية تتألف من شقين، الشق الأول وهو العالم الخارجي، والشق الثاني يتمثل في الشاعر نفسه. وترى سوزان لانجر، أن الصورة الفنية ما هي إلاّ التحام مشاعر الشاعر والعالم الخارجي" وهي في أكثر حالاتها مظهر خارجي محدود ومحسوس جيء به في الشعر ليعبّر عن عالم من الدوافع والانفعالات لا يحد ولا يحس،وذلك لأن الفن–كما تؤكد–سوزان لانجر ليس سوى خلق للصور التي ترمز إلى المشاعر الإنسانية المتلاحمة، إذ إنه اتحاد النفس الإنسانية الداخلية لمظاهر الكون والطبيعة الخارجية."(الرباعي،١٩٨٠)

ويدلنا هذا على أن تجربة الشاعر الشعرية لا تنبع من فراغ، وإنما تعبّر عن مدلول اجتماعي ونفسي "فالشعر ليس فراغًا بالألفاظ،وإنما هو مشاعر وأحاسيس وحياة لجبة صاخبة فيها قوة وتأثير."(ضيف،١٩٥٩)

وشكا حاله للممدوحه من حيث إن الحرس الدّارعين كانوا يقولون له:قف،يقول:(الديوان،ص٨٤)

مالي ومالكَ قد كلَّفْتَني شطَطًا حملَ السِّلاحِ وقولَ الدَّارعينَ قِفِ

وصورت الصورة السمعية الذين يستشهدون بالأمثال في أحاديثهم، فممدوحه كان مضرب المثل بمجده، إذ يقول: (الديوان،ص٨٩)

كسْرَويٌّ بمَجْدِهِ يَضْرِبُ الضَّاربُ المَثلْ

ويشبه الشاعر مجموعات خيل الممدوح وكرّها على الأعداء في أثناء القتال بسقوط القطر بدفعات متوالية، وهذه الصورة صورة سمعية، فالخيل لها أصوات في عدوها وصهيلها، وتساقط المطر بدفعات له صوت، فنجده يقول: (الديوان،ص٩٦)

كأنَّ خيلكَ في أثناءِ غَمْرَتِها أرسالُ قَطْرٍ تهامى فوق أرسالِ

ويتصف ممدوحه بالكرم، فلا يقول "لا" إلا في التَّشهُّد،ودائما يقول:نعم،يقول:(الديوان،ص١٠٦)

ما قال "لا" قطُّ من جودٍ أبو دُلَفٍ إلاّ التَّشَهُّدَ لكن قولُهُ نَعَمُ

ويجعل للكلام مدة محددة،فممدوحه بلغ أرفع المنازل؛ ولهذا لايستطيع الكلام، إذ يقول:(الديوان،ص١٠٧)

فقدْ تناهت بكَ المعالي وانقطعت مدَّةُ الكلامِ

وظهرت في صوره السمعية صور المغنين والقيان والمعازف،يقول:(الديوان،ص١١٢)

والقيا في مَسامِعٍ سَدَّها الصَّوْم رُقَي الموصِلِّي أو دَحْمانِ

نعم عونُ الفتى على نُوَبِ الدَّهر سماع القيان والعيدانِ

وتكرر فعل "لام"في أكثر من موضع، ويحمل هذا الفعل دلالة صوتية، وعلى سبيل المثال، يقول:(الديوان،ص١١٢)

فاشربِ الرَّاحَ واعصِ من لامَ فيها إنها نعمَ عدَّةُ الفتيانِ

واستعار الضحكة والضحكات للتهلل والارتياح للمعروف،وقد وردت هذه الصورة في مدح الممدوح، إذ يقول:(الديوان،ص٤١)

لهُ ضحكةٌ تستغرقُ المالَ بالندى على عبسة تُشجي القنا بالتَّرائبِ

ويقول:(الديوان،ص٦٥)

وَأبَتْ إلاّ الوقارَ لهُ ضحكاتُ الشَّيبِ في شَعَرِهْ

وللريح العاصفة أصوات مسموعة،فيقول:(الديوان،ص٨٤)

أعطى أبو دُلَفٍ والرِّيح عاصفةٌ حتى إذا وقفتْ أعطى ولم يَقفِ

ومن صوره السمعية الطريفة جذب وتر القوس لتصوت،فنجده يقول:(الديوان،ص٥٦)

إنّي ودعواكَ أنْ تأتي بمكرمَةٍ كمنبضِ القوسِ عن سهم بلا وتَرِ

أنبض القوس: جذب وترها لتصوّت.

وبين إصغاء الأذن لزاجرها،وعدم الاستجابة لهذا الزاجر،إذ يقول:(الديوان،ص٦٥)

وصغت أذني لزاجِرها ولما تشجَى لمزدجرهْ

ووصف في صوره السمعية قعقعة السلاح وما يبقيه من أثر في نفوس سامعيه، فهو موقف يوحي للشاعر بيوم الحشر، وجمال الصورة يكمن في تصوير وقع الصوت على النفس والوجدان، وليس في تشبيه صوت بصوت آخر،إذ يقول: (الديوان،ص٦٩)

وزحوفٍ في صواهلِهِ كصياحِ الحشْرِ في أمَرِهْ

قُدْتَه والموتُ مكتمنٌ في مذاكيهِ ومشتَجِرِهْ

ويعجب الشاعر بصوت خلخال محبوبته شكلة، يقول:(الديوان،ص٩٧)

شَجيتْ خلاخلها بساقٍ خَذْلةٍ وشَجيتُ عَمْدًا بالذي هو قائلُ

الصورة الحسّية الذوقية:

تعدُّحاسة البصر والسمع من الحواس الأكثر شيوعًا واستخدامًا عند معظم الأدباء والشعراء، أما الحواس الأخرى كالذوق، واللمس،والشّم فلا ترد إلاّ بنسب ضئيلة.

ووردت عند الشاعر الصورة الذوقية ولكنها محدودة في ما يتعلق بموضوع الشرب، وخاصة الخمر،ولم يدقق كثيرا في طعم المشروبات أو الطعام (حلو، ومرّ، وحار، وبارد)، إلاّ في صور نادرة، ومنها أنه أضفى المرارة والحلاوة على الأيام، يقول في مدح أبي دُلَفٍ العجليّ: (الديوان،ص٩٨)

هو الأملُ المبسوط والأجلُ الّذي يَمَرُّ على أيامِهِ الدهرُ أم يحلو

وركز الشاعر في موضوع الخمر على اللون وأثرها في نفس شاربها وجسده، فصوّر شهر رمضان وامتناع الناس عن معاقرة الخمر، فيقول:(الديوان،ص٣٠)

فهو شهر الرّبيعِ للقراءِ وفراق النَّدمانِ والصهباءِ

ولعل صورة الخمر تثير في ذهن المتلقي كل ما يتعلق بالخمر من لون، ومذاق، وأثر.ويقول في الخمر:(الديوان،ص١١٢)

علِّلاني بصفو ما في الدنانِ واترُكا ما يقولهُ العاذِلانِ

عَلِّلاني بشرْبَةٍ تُذْهِبُ الهمَّ وتنفي طوارقَ الأحزانِ

فاشربِ الرَّاحَ واعصِ من لامَ فيها إنها نِعْمَ عدَّةُ الفتيانِ

وتسمى الخمر إذا كانت باردة صافية بـ (الشمول)، وذكرها الشاعر، بقوله:(الديوان،ص٧٥)

وشَمولٍ أرَّقها الدَّهر حتى ما توارى قَدايتها بلَبوسِ

وبين في أكثر من صورة أن الممدوح هو مطعم الناس، ونهر دجلة يسقيهم، فيقول في مدح حميد الطوسي:(الديوان،ص٧٤)

دجلةُ تَسْقي وأبو غانمٍ يطعِم من تَسقي من الناسِ

وتكرر هذا المعنى،فقال في مدح حميد الطوسي:(الديوان،ص٣٠)

صاغَهُ اللهُ مطعِمَ النَّاسِ في الأر ضِ وصاغَ السَّحابَ للإسقاءِ

وإطعام الفقراء في الشدائد والبلاء، فقال في مدح حميد الطوسي:(الديوان،ص٣٩)

بإقدامِكَ في الحربِ وإطعامِكَ في اللَّزْب

ويبين أن حميدا الطوسي قد تكفل ساكن الدُّنيا،فهم عيال له، وأنّ آدم قد أوصاه بإعالتهم،:(الديوان،ص٩٢)

تكفَّلَ ساكني الدُّنيا حميدٌ فقد أضحوا له فيها عيالا

كأنّ أباه آدمَ كان أوصى إليه أنْ يعولهم فعالا

فيقوم حميد بإعالة المحتاجين والفقراء.

الصورة الحسّية اللمسية:

نلمح هذه الصورة في النص من خلال ذكر اشتقاقات الأفعال الدالة عل فعل يتم بوساطة اليد؛ التي هي أداة حاسة اللمس، أو ذكر مثيرات تدرك بالمعنى، مثل:(البرودة، والحرارة، والخشونة، والنعومة...).

وهذه الحاسة قليلة الحضور في شعر الشاعر إذا ما قيست مع الصور الحسية الأخرى، وخاصة البصرية والسمعية.

ويتصور الشاعر لمس النّاس لراحتي الممدوح، يقول:(الديوان،ص٢٩)

لو لمسَ النَّاسُ راحتيهِ ما بَخِلَ النَّاسُ بالعطاءِ

ويشبه الهمّ الشديد الذي يمنع النوم بالقابض على الجمر،يقول:(٥٥)

ألا ربّ همٍّ يُمْنَعُ النَّومُ دُونَهُ أقامَ كقبضِ الراحتين على الجمرِ

وظهرت صورة الغضّ:الناعم، والأملس،والطري، حينما صور الشباب، ويرى في الشيب الوقار الذي يكره يقول: (الديوان،ص٣٢)

لم أرَ كالشَّيبِ وقارًا يُجتوى وكالشَّبابِ الغَضِّ ظّلا يُستلبْ

والجود في كفّ ممدوحه ليّن، أما في كفّ غيره خشن،يقول في مدح حميد الطوسي:(الديوان،ص٤٣)

والجُودُ في كَفِّ غيرهِ خَشِنٌ وهو بكفَّيْهِ ليّنٌ سَرِبُ

وجعل الكرم في يد الممدوح لينًا تنعم به اليد،أما في يد غيره فجعله خشنًا بسبب الضيق. وكنى للسهولة في المواقف بالليونة، يقول: (الديوان،ص٨٦)

سأعطف من حيث لا تليـن ولا تعطـفُ

وصور وصال النساء،والوصال فيه ملامسة،فيقول:(الديوان،ص٤٤)

تجافتْ عيونُ البيضِ عنهُ وربَّما مددنَ إليه الوصلَ وهو حبيبُ

ومن صوره المعنوية في هذه الحاسة،تصويره لألم الشوق الذي يشعر به، بألم أطراف الأسنة في الحشا،فيقول:(الديوان،ص٥٥)

وشوقٍ كأطرافِ الأسنَّةِ في الحشا مَلَكْتُ عليه طاعةَ الدَّمعِ أنْ يجري

وبدت الصورة اللمسية في طي الخيام، وطي الثوب في قوله:(الديوان،ص٥٨)

فَطَوَتْ أخْبيةَ الحيِّ كما يُطوى الحبيرُ

وصور اليد بأنها تكون مصدر خير للناس وكنّى لذلك بأنها تحلب ضرع الناقة، ومن الممكن أن تكون مصدر قوة يبطش بها، فيحل الموت والهلاك بالأعداء، يقول:(الديوان،ص٦١)

بيدٍ تنهَلُّ خِلفَيْنِ فتحتبي وتُبيرُ

وصور في الصورة اللمسية حياة الرفاهية التي كان يعيشها عدو الممدوح،إذ يقول:(الديوان،ص٦٢)

أبطرتهُ دَعَةُ النِّعمةِ والعزُّ النمير

الصورة الحسّية الشّمية:

لم تظهر هذه الحاسة في شعره إلاّ نادرًا،فقد تجلت في موضوع الخمر؛ إذ وصفها بطيب الرائحة،ونجده يقول: (الديوان،ص٧٥)

وشَمولٍ أرَّقَها الدّهر حتى ما تُوارى قَدايتُها بلبوسِ

والقداة:الرائحة الطيبة.

وذكر في موضع آخر الروضة وما فيها من أزهار، وقد جعلنا نتخيل رائحة الورود والأزهار في هذه الروضة،يقول في مدح ممدوحه:(الديوان،ص٦٧)

مُستَهِلٌّ عن مواهبِهِ كابتسامِ الرَّوضِ عن زَهَرِهْ

وجانس الشاعر في كلمة شكلة في إحدى قصائده الغزلية،فقال:(الديوان،ص٩٧)

إنِّي ليُقْنِعُني تعَهُّد شَكلَةٍ إنْ حالَ دونَ لقاءِ شَكْلَةَ حائِلُ

الشكلة الأولى:الوردة.والشكلة الثانية:اسم صاحبته. فالشكلة الأولى:هي الوردة التي تثير في الذهن الرائحة الطيبة.

وصفوة القول–كما أوضحنا سابقًا، إنّ الحواسّ كلها تكمل بعضها بعضا، وتؤدي إلى شعورنا باللذة، فالأصوات، والألوان، والملمس، والروائح، والطعوم هي وحدها التي تؤدي إلى إحساسنا بالجمال، واعتمد الشاعر على حواسه كلّها في توضيح تجربته الشعرية. والمادة الحسّية ضرورية لأي عمل فني،فهي التي تجسد خيال الشاعر وصوره وأفكاره.ونجد لذة العمل الأدبي عندما يكون مجسداً بأصوات وألوان وألفاظ ذات إيقاع.وترتبط الحواسّ بالعملية الجمالية ارتباطًا وثيقًا، فنحن لا نحكم على الشيء بأنه جميل إلاّ إذا أدركناه بحواسّنا سواءٌ أكانت بصرية، أم سمعية،أم ذوقية،أم شمّية، أم لمسية، وكذلك اللذة التي نشعر بها بعد الإحساس الجمالي، ما هي إلاّ ترجيع للإحساس كلّه.

وكان الباحث قد أشار في مقدمة البحث، إلى أن المتنبي قد تأثر بهذا الشاعر، وقد أغار على معانيه وألفاظه، وهناك دراسة لأحمد نصيف الجنابي بعنوان (أثر شعر العكّوك في شعر المتنبي) تتبعت هذا التأثر، وسيكتفي الباحث بذكر مثالين في هذا التأثر، يقول الشاعر: (الديوان،ص٤٧)

تراثُ أبيهِ عن أبيهِ وَجَدِّهِ وكُلُّ امرٍ يجري على ما تعودا

وقد تأثر به المتنبي،فقال:(الديوان،١٩٧٩م)

لكل امرٍ من دهرهِ ما تعودا وعاداتُ سيفِ الدّولةِ الطَّعنُ في العِدا

ويقول الشاعر:(الديوان،ص٤٩)

للعيدُ يومٌ من الأيّامِ منتظرٌ والنَّاسُ في كُلِّ يومٍ منكَ في عيدِ

وقد تأثر به المتنبي،فقال في مدح سيف الدّولة:(الديوان،١٩٧٩م)

هنيئًا لك العيدُ الّذي أنت عِيدُهُ وعيدٌ لمن سمَّى وضحّى وعيّدا

ولا شكَّ في أن أبيات شاعرنا أوضح وأقوى وأكثر دلالة.

ويقول أبو الفرج الأصفهاني إن البحتري وأبا تمام سلخا في مراثيهما أكثر معانيها (ضيف،١٩٧٢)، ويقصد مرثيته البديعة في رثاء حميد الطوسي، ومطلعها يقول فيه: (الديوان،ص٨١)

أللدَّهرِ تبكي أم على الدَّهْرِ تَجْزَع وما صاحِبُ الأيامِ إلاّ مفَجَّعُ

نتائج البحث:

١. استطاع الشاعر أن يعوض حاسّة البصر التي فقدها،بالاعتماد على بقية حواسّه، وبالاعتماد على ثقافته وخياله الباني الذي استطاع من خلاله صياغة الصور البصرية كافة، وبدت وكأنه شخص مبصر.

٢. ظهرت في شعره الصور الحسّية البصرية بأنواعها المختلفة، الصامتة، والمتحركة، والضوئية، واللونية. وكانت صوره البصرية الأكثر انتشارا في شعره.ومعظمها ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بممدوحيه؛ فشعر المديح مثل النسبة العظمى في شعره،وكذلك موضوع الغزل لم يرد فيه إلاّ أبيات قليلة، وموضوع الخمر –أيضًا– لم يرد فيه إلاّ أبيات قليلة.

٣. ظهرت في شعره الصورة الحسّية السمعية،ولكنها بنسبة أقل من الصور البصرية، وبدت واضحة جلية من خلال استخدامه للألفاظ التي ترتبط بحاسّة السمع، ووردت في شعر المديح، والوصف، والغزل، والغناء، والقيان، والمغنين، والآلات الموسيقية.

٤. ظهرت في شعره الصورة الحسّية الذوقية بنسبة ضئيلة،واقتصرت على موضوع الخمر،وإسقاء الماء،وإطعام النّاس.ولكنّ عدد الصور قليلة.

٥. ظهرت الصورة الحسّية اللمسّية بنسبة ضئيلة،وغالبًا ما ارتبطت بيد الممدوح التي تعطي العطاء بسخاء.

٦. لم تظهر الصورة الحسّية الشّمية إلاّ نادرا، وارتبطت برائحة الخمر، ورائحة الورد والأزهار، وكان عددها قليلا.

٧. وأدت صوره الحسّية كافة وظائفها الحيوية في النص الشعري، فنقلت الشعائر الدينية في شهر رمضان، وصورت الحياة الاجتماعية وسلوكيات المجتمع في شهر رمضان، وصورت كيف يعيش الناس في أمن في ظلّ الممدوح، وصورت الحياة اليومية وما فيها من صخب، وغناء، ومغنين، وخمور،وزهد،وتلاوة للقرآن الكريم.وصورت بعض الأحداث التاريخية ولا سيما أن الشاعر من الشعراء الذين ترددوا كثيرًا على أمراء الخلافة العباسية، فنقلت صوره سلوك الأمراء، وعظمة مواكبهم، وجيوشهم، وقوتهم.فقامت الصورة الحسّية بوظيفتها خير قيام؛ إذ عكست كل هذه الأمور، والشاعر لم يكن ناقلا للأشياء بحرفية تامة، أو متبعًا أسلوب المحاكاة، بل تدخلت عواطفه وانفعالاته في هذا النقل.

٨. نقلت صوره الحسّية أحاسيسه وانفعالاته، وصورت حالته النفسية بأفراحها وأحزانها واضطرابها، وصورت نفسه اللاهثة وراء جمع الثروة من الممدوحين، وصورته بأنه لم يكن متبرمًا من الحياة على الرغم من آفة العمى التي أصيب بها، بل بدا سعيدا مقبلا على متعها وملذاتها.

٩. كان الشاعر رساما بارعا، وقد استخدم أصباغه كلها في رسم لوحاته الفنية؛ فبدت واضحة مجسدة مشخصة ترى بالعين، وتسمع بالأذن، وتلمس باليد؛ بسبب استخدام الشاعر اللغة الحسّية في شعره.

١٠. كانت صوره الحسّية كافة منسقة متآلفة متنامية وتظهر في لوحات متكاملة، بعيدة عن الابتذال والتكلف والسطحية والسذاجة، وعملت صوره الحسّية على تقريب المعنى إلى الواقع المحسوس.

١١. جاءت صوره الحسّية كافة واضحة جلية سهلة الفهم، وإن كان يجنح فيها للمبالغة أحيانًا، وبخاصة في موضوع المديح.

١٢. جاءت صور الشاعر الحسّية على درجة عالية من الجمال، وجمالها يعود إلى قوتها وروعتها فضلا عن أنه كان مبتكرًا لها؛ ولهذا من يقرأ شعره سيشعر بمتعة الشعر العذب الجميل ويهتز طربًا له، ولا بدّ أن يتأثر به، ويقف المتنبي على رأس من تأثر به، فأغار على أبيات الشاعر وضمنها شعره.

المراجع

القرآن الكريم.

- انظر أخبار حياته في الشعر والشعراء ص ٨٦٤ وطبقات ابن المعتز ص ١٧١ والورقة ص١١٣ والكامل للمبرد ٢٦٦:١ والطبري ١١٥٣:١١ وسمط اللآلى ص ٣٣٠ والأغاني ٢٥٤:٨، ١٠٠:١٨ ووفيات الأعيان ٣٥:٣ وتاريخ بغداد ٣٥٩:١١ ونكت الهميان ص ٢٠٩ ومرآة الجنان ٥٣:٢ والبداية والنهاية٢٦٧:١٠ وشذرات الذهب ٥٥:٢ والعصر العباسي الأول د. شوقي صيف ص٣٥١ ود.حسين عطوان محقق ديوانه ص ٩ . البكري ، سمط اللآلى ،ص ٣٠٣ .
- إبراهيم،زكريا،فلسفة الفن في الفكر المعاصر،ط مكتبة مصر–الفجالة،١٩٧٩م.
- الأندلسي،ابن حزم،طوق الحمامة في الالف والالاف،تحقيق إحسان عباس،ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،لبنان،١٩٨٧م.
- أنيس،إبراهيم ،الأصوات اللغوية،ط دار وهدان، ط٥، القاهرة، ١٩٧٥.
- ابن خلكان،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت سنة ٦٨١)، وفيات الأعيان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م.
- ابن فارس،أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، مقاييس اللغة،تحقيق عبد السلام هارون، ط دار الفكر، القاهرة،١٩٧٩م.
- برد، بشار، الديوان،تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، ط لجنة التأليف والنشر،القاهرة،١٩٦٦م.
- البرقوقي، عبد الرحمن،شرح ديوان المتنبي،ط دار الكتاب العربي، بيروت،ط١٩٧٩،١م.
- الجنابي،أحمد نصيف،مجلة المورد، المجلد السادس،العدد الثالث، وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية،١٩٧٧م.
- جودة،عاطف،الخيال، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.
- جويو، مسائل فلسفة الفن المعاصر، ترجمة: سامي الدروبي، ط دار الفكر العربي، القاهرة،١٩٨٥م.
- الرباعي،عبد القادر، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، ط جامعة اليرموك، ١٩٨٠م.
- ريتشاردز، أ.أ، مبادئ النقد الأدبي، ترجمة:مصطفى بدوي،ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة،١٩٦٣م.
- ستولنيتو، جيروم،النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية، ترجمة د.فؤاد زكريا، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١م.
- الشوباشي، محمد مفيد، الأدب ومذاهبه، ط دار الكتاب العربي، القاهرة،١٩٧٠.
- ضيف، شوقي:
- العصر العباسي الأول،ط دار المعارف بمصر، ط٤،القاهرة،١٩٧٢ م.

- دراسات في الشعر العربي المعاصر،ط دار المعارف بمصر،القاهرة،١٩٥٩م.
- عبد الخالق،أحمد محمد،الأبعاد الأساسية للشخصية،ط دار المعارف بمصر،القاهرة،١٩٧٩م.
- عصفور، جابر،الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، ط دار المعارف بمصر،القاهرة، ١٩٧٧م.
- عطوان،حسين،شعر علي بن جبلة الملقب بالعَكَوَّك،جمع وتحقيق،ط دار المعارف بمصر،ط٣،القاهرة،١٩٨٢م.
- فشر،إرنست،ضرورة الفن،ترجمة أسعد حليم،ط الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٧١م.
- كشّاش،محمد،اللغة والحواس،ط المكتبة العصرية،صيدا وبيروت،ط١،٢٠٠١م.
- مراد،يوسف،مبادئ علم النفس العام،ط دار المعارف بمصر،ط٣،القاهرة،١٩٨٠م.
- ناصف،مصطفى،الصورة الأدبية،ط مكتبة مصر،الفجالة،القاهرة، ١٩٥٨م.